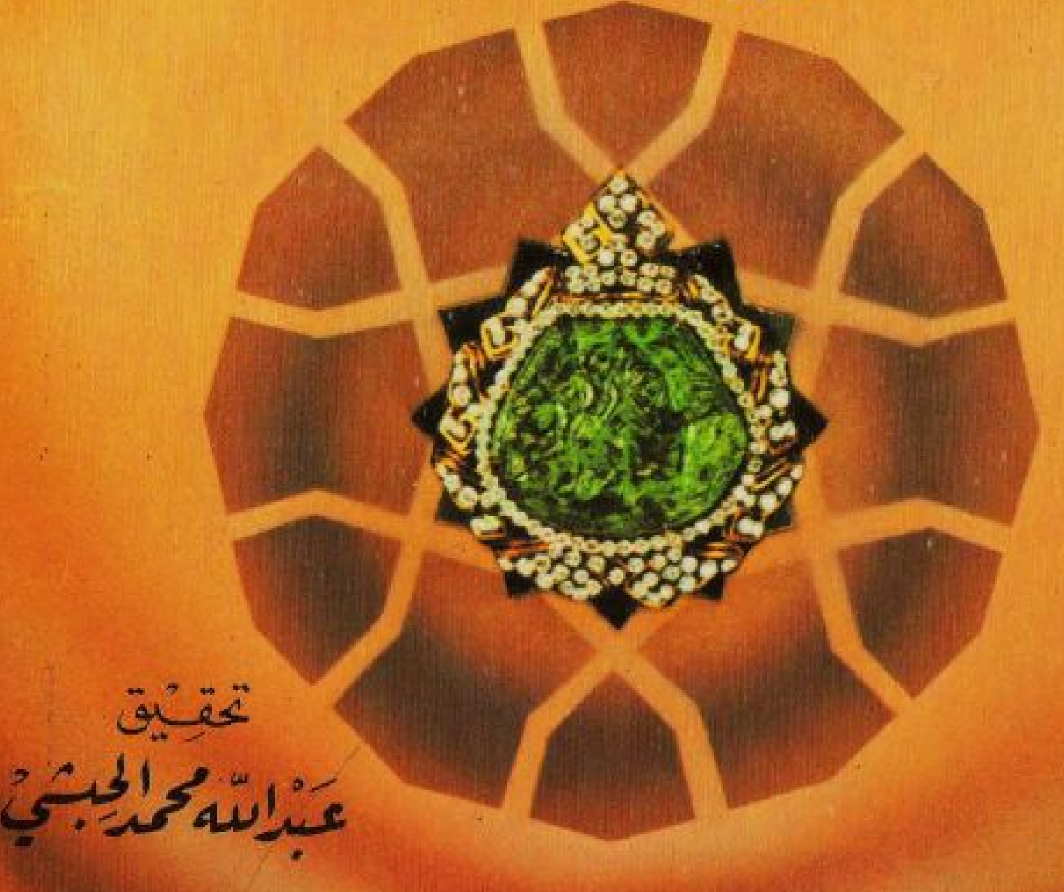


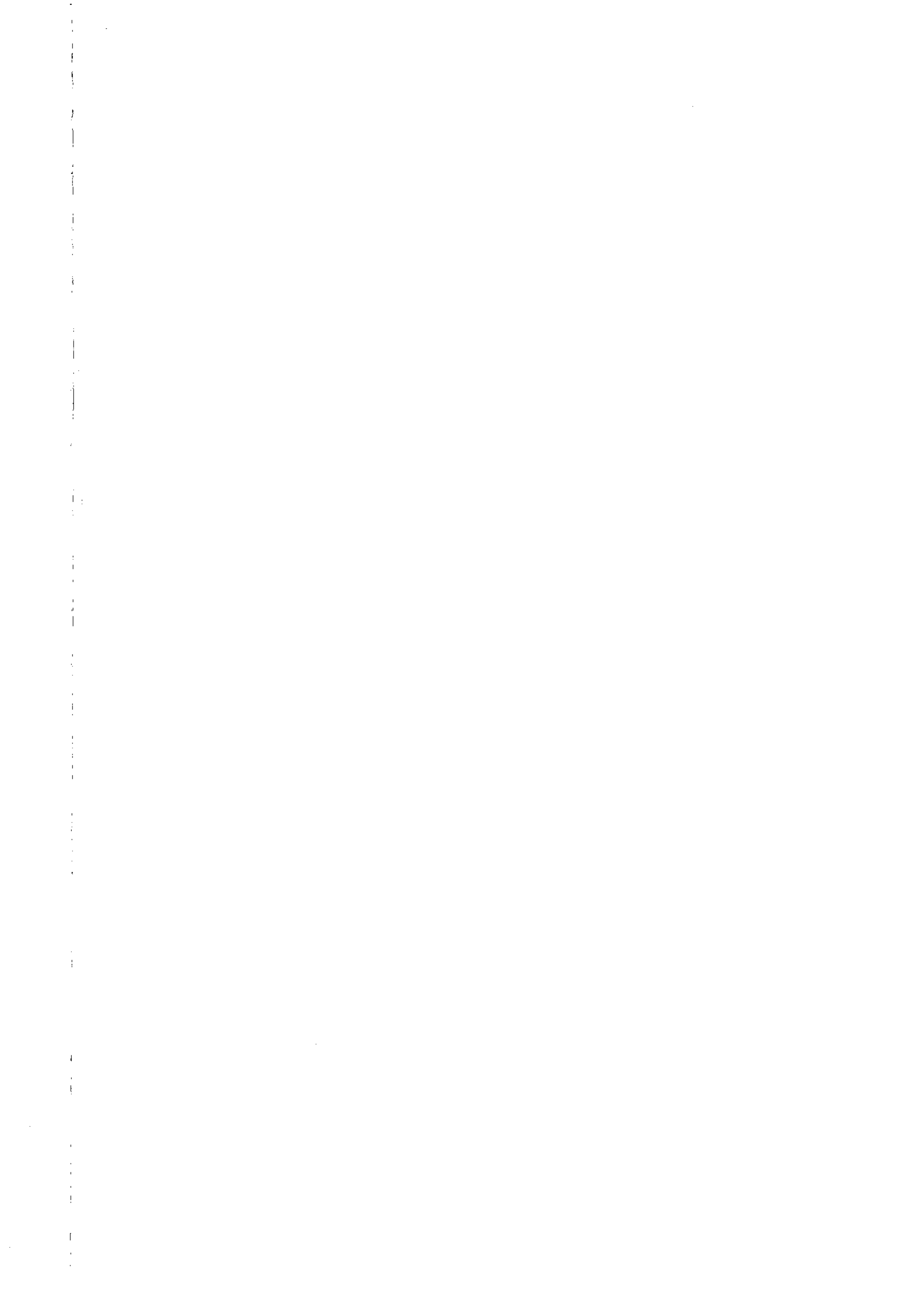
في المفاخرة بين الروضة وبئر العزب
وما انضاف إليهما من تلك المنازه والنخب

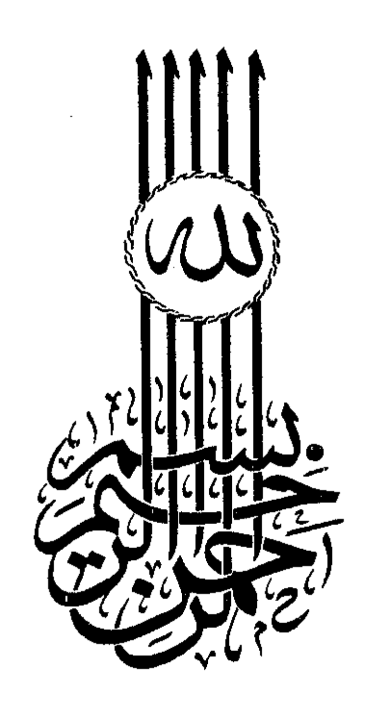
تأليف
الأديب العلامة
السيد عبد الله بن علي الوزير
المتوفى سنة ١١٤٧هـ

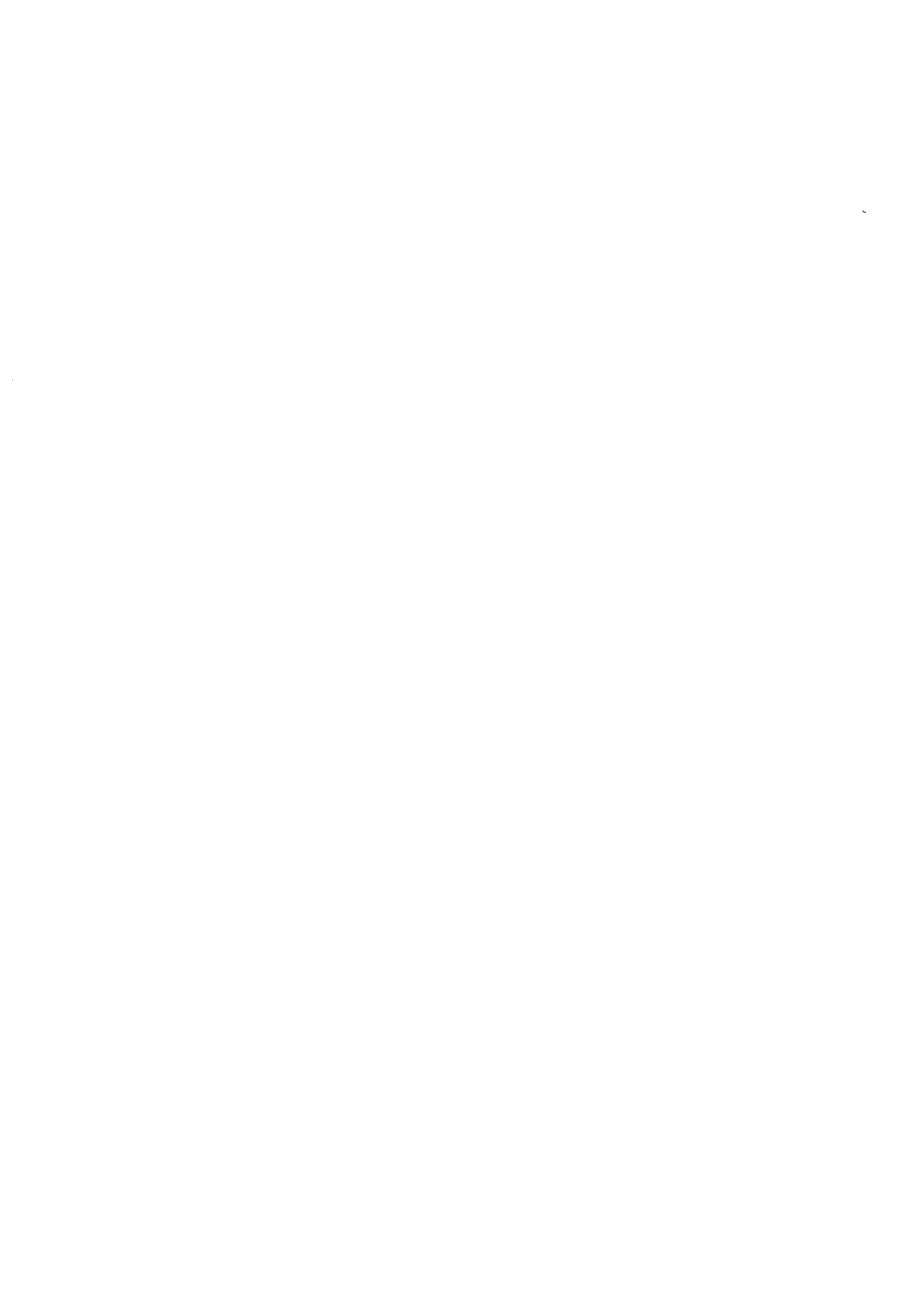


تحقيق
عبد الله محمد الحبشي

الدار اليمنية
للنشر والتوزيع




بسم الله الرحمن الرحيم



أطواق الذهب

الطبعة الأولى
١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م



توزيع



تليفون : ٨١٤٧٠٣
٨١٤٦٩٧
ص.ب : ٥٦٤٥ / ١٤
بيروت - لبنان

أقراط الذهب

في المفاخرة بين الروضة وبئر العزب
وما انضاف إليهما من تلك المنازه والنخب

تأليف

الأديب العلامة

السيد عبد الله بن علي الوزير

المتوفى سنة ١١٤٧هـ

تحقيق

عبد الله محمد الحبشي





مقدّمة المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الطاهرين.

يعتبر فن المقامة من الفنون الإسلامية الخالصة حيث لم تعرف في الآداب الجاهلية، وقد استحدثه العرب حين اتصلوا بالثقافات الأخرى في فارس والهند، ولعل المخترع الأول لهذا الفن هو الأديب بديع الزمان الهمذاني المتوفى سنة ٣٩٨هـ الذي يقال إنه استلهمه من ابن دريد في أحاديثه الأربعين. وكانت مقامات بديع الزمان غالباً ما تدور حول موضوع الكدية والتسوّل وقد جعلها في فصول. وهي فتح كبير في الأدب العربي سرعان ما حاكاها كثير من الأدباء لعل أشهرهم الحريري الذي اشتهرت مقاماته حتى كادت أن تسدل الستار على مقامات سلفه بديع الزمان، ثم جاء بعد الحريري جمع كبير من الأدباء من مختلف الأقطار العربية ساهموا في الكتابة في هذا الفن، منهم عبدالعزيز بن نصر السعدي المتوفى سنة ٤٠٥هـ وعبدالله بن محمد بن ناقيا المتوفى سنة ٤٨٥هـ ومحمد بن يوسف السرقسطي المتوفى سنة ٥٣٨ ومقامات ابن الصيقل الجزري المتوفى سنة ٧٠١ وغيرهم كثير، ذكر بعضهم صاحب كتاب المقامة الأستاذ الدكتور شوقي ضيف[1].

---

(١) شوقي ضيف: المقامة ص٨٠.

أمّا في الأدب اليمني فقد عرف فنّ المقامة عن طريق الحريري الذي وصلت مقاماته إلى اليمن منذ مرحلة مبكرة وتأثر بها الأدباء والشعراء والعلماء[1]، ومنهم من لم يكتف بالإعجاب بها والدراسة لها فقام بالتعليق عليها والشرح لعباراتها، كالأديب أبي عبدالله محمد بن أبي القاسم الجبائي المعروف بابن المعلم المتوفى في القرن السابع الهجري. والأديب إبراهيم بن علي بن عجيل المتوفى سنة ٦٤٠.

ولعل أقدم من ألّف في فن المقامة هو الأديب محمد بن سعيد المنجوي المتوفى سنة ٦٧٨، الذي يذكر له صاحب طراز أعلام الزمن مقامات أدبية عددها ٢٥ مقامة، ثم تلاه الأديب العلّامة عبدالرحمن بن محمد الحبيشي المتوفى سنة ٧٨٠ فألف كتاب (المفاخرة بين اللبن والعسل) وهو من نوع المفاخرات التي نجدها تكثر بعد هذا التاريخ. وفي القرن الثامن يظهر أديب ضليع في فن المقامات هو الأديب أبو المحاسن عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني المتوفى سنة ٧٤٢ فيضع عدة مقامات موجودة بين أيدي الناس.

على أن فن المقامة في اليمن هو أدب المتأخرين، وقد برع فيه جمهور كبير من أدباء القرن العاشر وما بعده كالأديب عبدالغفار بن إسماعيل العلوي الزبيدي المتوفى في القرن العاشر، والأديب سعد بن داود اليماني له مقامة في المفاخرة بين الربيبة والوصيفة، والأديب إبراهيم بن صالح

---

(١) كان العلامة أحمد بن عمر المزجد إذا سئم من القراءة والمطالعة استدعى بمقامات الحريري فيطالع فيها ويسميها طبق الحلوى. (أنظر النور السافر ص١٤١) والعلامة المزجد هو صاحب العباب في الفقه الذي شرحه ابن حجر الهيثمي توفي بمدينة زبيد سنة ٩٣٠.

الهندي المتوفى سنة ١١٠١ له (براهين الاحتجاج في المفاخرة بين القوس والبندق) وغيره من الأدباء اليمنيين الذين برزوا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر.

ابن الوزير صاحب أقراط الذهب:

وأشهر من برَّز في فن المقامة من المتأخرين السيد العلامة الأديب عبدالله بن علي الوزير صاحب كتاب (أقراط الذهب في المفاخرة بين الروضة وبئر العزب) الذي نقدّمه بين أيدي القراء.

ولد الأديب عبدالله بن علي بن محمد بن عبدالإله بن أحمد الوزير سنة ١٠٧٤ ،وعاش في كنف أخيه الأديب عثمان بن علي الوزير فأخذ عنه مختصرات العلوم، ومن شيوخه من أهل صنعاء الحسين بن محمد المغربي صاحب كتاب (بدر التمام) ومحمد بن إبراهيم السحولي. ومن أبرز تلامذته العلامة محمد بن إسماعيل الأمير الذي يصفه بقوله: (شيخنا بحر العلوم وإمام أئمة المنثور والمنظوم) الخ. ويقول أيضاً أن أكثر انتفاع شيخه كان من مكتبة بني الوزير الموجودة في جامع صنعاء وأنه كان يقضي أكثر أوقاته فيها. ويصفه كل من ترجم له بالذكاء المفرط وقوة الحافظة، من ذلك ما قاله تلميذه إسحاق بن يوسف بن المتوكل: (لم أر مثله في ضبط الألفاظ ومعرفة اللغة واستحضار كل مسألة في أي فنٍّ من الفنون يلفظها من حفظه وكان يحرص على استصْحاب المتون عند الحاجة إليها ويسأل أولاً الطلبة فإن وجد فيهم من يحفظها وإلاّ أملاها من حفظه)،وكان له اتصال وثيق بالإمام المتوكل القاسم بن الحسين ومدحه بقصائد عديدة وكان المتوكل يقرأ عليه في بعض الكتب،توفي

علامتنا بصنعاء في ٢٨ رمضان سنة ١١٤٧[١].

مؤلفات ابن الوزير:

يعتبر الأديب عبدالله بن علي الوزير من كبار المنتجين في الأدب اليمني وقد ترك مصنّفات كثيرة منها:

١ - «جامع المتون في أخبار اليمن الميمون» في التاريخ مخطوط في الجامع بصنعاء.

٢ - «جوارش الأفراح» ديوان شعر مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٤٥٦٨.

٣ - «نشر العبير المودع طي نسمة التحرير» في مناقب شيخه البرطي مخطوط بقلم المؤلف بمكتبة «دوعن» بحضرموت.

٤ - «إرسال الذّوابة بين مسألة الصحابة» مخطوط بمكتبة الجامع.

٥ - «طبق الحلوى وصحاف المنّ والسلوى» مخطوط.

٦ - كتاب «أقراط الذهب في المفاخرة، بين الروضة وبئر العزب».

وهي رسالة أدبية طريفة اشتملت على المفاخرة بين الضاحيتين الرَّوضة وبئر العزب، وقد تفنن المؤلف في إيراد محاسن كل منهما.

وهذه المفاخرة عليها معارضة للأديب أحمد بن محمد الحيمي بعنوان (شكر من وهب) سنوردها بعد مفاخرتنا هذه. يقول الحيمي في مقدمة معارضته وهو يصف المقامة التي بين أيدينا:

---

(١) أنظر ما كتبته حول العلامة عبدالله بن علي الوزير في مجلة العرب سنة ١٣٩٤هـ شهر رجب ص٨-٣٧.

(ما أراها إلّا قرط حقيقي ولو وسمها بابنة العنب في المفاخرة بين الروضة وبئر العزب، لكان ذلك الإسم مطابقاً لما اشتملت عليه من التعريض لتلك المخارف) الخ .

ونحن ننشر مقامة أقراط الذهب عن أصل قديم كتب في حياة المؤلف، وهي نسخة حزائنية جميلة جاءت في غاية التصحيح والضبط فأغنتنا عن سائر النسخ ،وهي توجد ضمن مكتبة العلامة السيد محمد ابن محمد المنصور.

وهذه المقامة قطعة فنية فريدة بناها على شكل منازعة جرت بين الروضة وبئر العزب، وتحزب بعض القرى إلى إحدى الضاحيتين،وهي لا تخلو من الحبكة القصصية والأسلوب الأدبي .

فإلى الأدباء والمتشوقين للأدب نقدم هذا النص الفريد .



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات بحسب مشتهى عباده، والنخل والزرع مختلفاً أكله ومتفقاً حاله حسب مراده ﴿والزيتون والرمّان متشابهاً وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقّه يوم حصاده﴾[1].

والصلاة والسلام على من غرس النخلات بكفه السعيد، وأنزل عليه في الكتاب المجيد ﴿والنخل باسقات لها طلع نضيد﴾[2]، وعلى آله الذين طابوا أصلاً وطالوا نيعة[3] وكان لهم في مدارج الكمال سرعة حتى غرسوا أشجار الاتحاف وغرسوا أثمار الانصاف، ما تجاذبت كفّ النسيم أهداب الأغصان وتناوبت خطباء الأطيار منابر الألحان.

وبعد فقد أنبأنا سلطان الجراكسة الأمير فرج قال: نبّأتني بسندها الحرة مدرج قال: حدثنا الشريف أحمد عِنَبة، وكان في الإسناد عالي المرتبة، قال: سمعت في عنفوان الطلب ما اتفق في المفاخرة بين (الروضة) و(بئر العزب) وذلك حين تضاحكت أنهارها وتباكت أنهارها

(١) سورة الأنعام ١٤١

(٢) سورة ق ١٠

(٣) ناع الغصن: مال.

واستوى في الطِّيب ليلها ونهارها حين وافى سلطان الربيع واستكمل روضه (التدبيج)[1] والتوشيع[2] وأنشد طائره الذلق بلسان الملق:

إن فصل الربيع فصل عجيب (تضحك الأرض من بكاء السماء)[3]
ذهب حيثما ذهبنا ودرّ حيث درنا وفضّة في الفضاء

ولو أن الروضة لم تتقدم إليها بخيلها ورجلها لكفاها أن تبعث للإصلاح حكماً من أهله وحكماً من أهلها لكنه سبق السيف العذل وفي المثل (من يسمع يخل)، وكاد (الجراف)[4] أن يتصدر بينهما لقطع الخلاف لولا أنه نهض إليه (ذهبان)[5] وأفهمه أن الشقّاق بينهما قد بان، وأنه لا يحسم ذلك الشجار غير طرح هذين الياقوتين في لهب الإختبار.

(تقدم بئر العزب وما خالفت به الأدب)

وكان الظن في بئر العزب هو الحسن، وأنه سيقدم الروضة لأنها الأسن لكنه اشتمل على ثوب البسالة، وحشد الخيول والرجّالة، ونصبت ميدان الجريد من «باب السبحة»[6] إلى (حافة بني بلالة) ثم

---

(١) التدبيج من أنواع علم البديع أنظر (خزانة الأدب لابن حجة)
(٢) التوشيع من أنواع علم البديع أنظر (خزانة الأدب لابن حجة).
(٣) تضمين بيت شهير للحسين بن مطير.
(٤) من ضواحي شمال صنعاء على مسافة ثلاثة أميال تقريباً ويسمى الحصبات من مخلاف مأذن في القديم «صفة جزيرة العرب» ص١٧٠.
(٥) في اليمن موضعان بهذا الاسم الأول ذهبان القريب من صنعاء وهو المقصود هنا ويقع في ناحية بني الحارث والثاني ذهبان صعدة.
(٦) من أبواب صنعاء يعرف الى الآن باسمه.

اندفع عجلاً وأنشد مرتجلاً [١]:

لا يخـدعنـك من عــدو دمعـه وارحم شبـابك من عـدو يرحم
والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عــفّــة فــلعــله لا يــظلم
لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يـراق عـلى جـوانبـه الـدم

إنـه قـد أخبـرني عنـك عَـذْل من المخـالف[٢] وعـدة من أهـل المخارف [٣] ، إنـك تفخرين بدرب السلاطين وقد علمت أنه خلع عن منكبه تلك القفاطين [٤] ، مع أن صاحب شرح الإيجاز [٥] قد تكلّم في الرغبة عنه بطريقـة الإطنـاب والإيجاز، وتشمخين بـالمزاعقـة [٦] وهي بسواد الحرقان حارقة ولجماعة المتنزهات مفارقة، وأما بير جَوال فأسد رابض خير منه كلب جوال، مع هذا فتربها صلف وكل بيت فيها منزحف وإنما بيت الآغا سراج أقرب إلى عدم الإعوجاج وإلا فلماذا أقفر عنها النفر وأزمع عن حافاتها وفر، ولولا أن فيها بيت الفقيه العارف زيد بن قيس [٧] لنفى عنها جملة الحسن بلن ولا وليس:

بنفسي مغنٍّ زين بـابنـة مـالـك وبالغانيات الهيف يستحسن المغنا

(١) من قصيدة شهيرة للمتنبي.
(٢) مفرد مخلاف
(٣) مفردها مخرف وهي أماكن الصيف والنزهة
(٤) جمع قفطان وهو لباس تكرم به الدولة المقربين إليها.
(٥) صاحب شرح الايجاز هو العلامة زيد بن محمد بن حسن بن القاسم المتوفى سنة ١١٢٣ شرح فيه كتاب الايجاز في المعاني والبيان للعلامة لطف الغياث الظفيري.
(٦) المزاعقة، الحرقان، بير جوال، الآغا سراج أماكن بالروضة.
(٧) لعله العلامة زيد بن علي بن قيس الخيواني من المعاصرين للمؤلف توفي سنة ١١٥٠

فما شرف البنيان حسن طرازها ... ولكن بسكان الحمى يشرف السكنا[1]

وقد اختصرت العبارة وطوبت تحتها الإشارة فقد ندب إلى إقالة العثرات وأنت من ذوي الهيئات والأعمال بالنيات ،وقد بدرني المقال من حيث أدري ولا أدري فرجعت فيك إلى ما قاله العلامة صاحب الإرشاد إسماعيل المقري[2] :

وسديد رأي لا يحرك فتنة ... سكنت وإن قامت تأنى واطمأن
والشر مثل اللَّيث إن تنهض له ... ينهض على عجل وإن تسكن سكن
داء الرياسة في متابعة الهوى ... ودواؤها في الدفع بالفعل الحسن
وإذا الفتى استقصى لنصرة نفسه ... قلب الصديق لحربه ظهر المجن

وأما أنا فصحيحة الأديم عليلة النسيم، مكمّلة الأوصاف بالأشراف معمورة الوسط بالأطراف [3] محفوفة من الآبار بمئين [4] ، ومن الغيول بآلاف [5] مشمشي يذوب فيه العسل ورضاب تيني تسيل فيه الأرواح على الأسل ورمّاني ياقوت وعيني فاكهة وقوت، وأنا الذي كمل روض أنسي بما قاله البليغ العنسي[6] :

---

(١) من أبيات للأديب ابراهيم الهندي المتوفى سنة ١١٠١ .

(٢) هو العلامة الأديب اسماعيل بن ابي بكر المقري المتوفى سنة ٨٣٧ وكتاب الارشاد في الفقه يسمى إرشاد الى مسالك الحاوي اختصر فيه كتاب الحاوي للقزويني، مشهور.

(٣) نوع من أنواع العنب.

(٤) مئين بئر من آبار بئر العزب في ذلك الوقت.

(٥) الغيل نهر صغير، وغيل آلاف جنوبي صنعاء شقه الإمام القاسم بن علي العياني نحو سنة ٣٩١.

(٦) هو الأديب الشاعر علي بن محمد العنسي المتوفى سنة ١١٣٩ له ديوان مشهور.

طلّق الهم بها سكّانها   فلهذا سميت بئر العزب

وقد قال بعض الحكماء لما جعل بيني وبين الرَّوضة حكماً القصد إلى رياضية الماشي وإلى الروضة رياضية المواشي، وصدقت حكمته فيما أملاه فالقاصد إلي في الأغلب مركوبه رجلاه، والفرق بين رياضة الراكب وما تحته من المراكب مما يجهله عريض القفا مخلوط الحواجب ولما دخل صنعاء من له تخمين وفهرسة [1] ممن جمع بين الحدس والتنجيم والهندسة، ورأى صنعاء تحت جبل (نقم)[2]، كالفريسة تحت أسد لم يأكل منها ولم يقم قال لبعض من يميل إليه ويركن في تلقي الحكمة عليه: إعلم أن هذا الجبل سهيب الجيد طويل بسيط[3] ثقيل مديد وهو من جبال الطور المقتلعة لتعذيب كل جبار عنيد وشيطان مريد، فلو كانت هذه الأمة من رقّ غمته محرَّرة لكانت نبذة من جنان الخلد مختصرة ولكانت أشجارها من سدرة المنتهى التي عندها جنة المأوى.

ومع هذا فقد دُسْتُ إقليم هذه البلاد فوجدت كل إنسان إليها ظامىء الفؤاد ملتهب الأكباد، غابطاً بأصغريه نظارتها رامقاً بمحجريه، دارتها، وما أشبهها بذلك الخصر اللطيف الدقيق الذي عناه بنظمه الأنيق:

وخصر تشبث الأبصار فيه   كأنَّ عليه من حدق نطاقا

---

(١) لعله فراسة

(٢) نقم جبل مشهور مطل على صنعاء من جهة الشرق.

(٣) طويل، بسيط، ثقيل، مديد من بحور الشعر.

فبالتحقيق قد دهمها الضيق من جبلين أحدهما هذا الشامخ الرأس، الراسخ الأساس الثقيل الأنفاس والآخرّ ما يتهجم عليها وينساب إليها، من أنفاس الناس غير أن الله قد جعل لذلك الغم فرجاً، ولذلك المضيق مخرجاً بما فتح به من هذه الغوطة الرحيبة والنزهة المعجّلة القريبة.

ولما طال منها الذيل نادى (ثقبان) [١] بالثبور والويل وقال: أيتها المعارج والفرج والمفارج، قد أطالت هذه عنقها وفتحت مشرقها فأغربوا عن زجرها وأبينوا ثم ذهب ذوالنون مغاضباً النونو» [٢].

(انتصار الرَّوضة لنفسها بتميّزها في الفصل على أبناء جنسها)

وحينئذ صرخت الروضة بأعلى صوتها وقالت بعد أن قرع سمعها ما اختارت معه الموت:

ياذا الذي بقراع السيف هددني	لا قام مصرع جنبي حين تصرعه
قام الحَمَام الى البازي يهدده	واستأسدت لأسود البر أضبعه

ما كنت أحسب أن خزانة الأصلوح [٣] يبدو بها، بدر المفاخرة ويلوح، يا قصيرة المنارة ويا أخت بركة شرارة [٤] غرس مطهر بن كثير

---

(١) ثقبان بلد وواد فيه نبع ماء ومخرف من مخارف صنعاء في شمالها بمسافة ثلاثة أميال تقريبا. (صفة جزيرة العرب ص٣٢٤).

(٢) النونو من أهل ثقبان (من هامش النسخة).

(٣) الأصلوح أطلق على بني الصليحي كما وقع مثله في (شرح البسامة، وكانت تنسب إلى أحد ملوكهم فيما مضى) (من هامش النسخة).

(٤) هي المنطقة الواقعة بين باب السبح وبئر العزب.

الجمل[1] أطيب ما فيك إذا حمل، وهو في بئر البهمة[2] لا يبرد لوعه ولا يشفي نهمه، عنبك إذا انفصل عن بئر العزب أقسم بالله ما ادعى أنه عنب.

لقد ذل من يحنو عليه عدوه   وقد هان من بالت عليه الثعالب

إنما كنت مقبرة الأمم المتقدمة. فكل كرمة منك مغروسة فوق جمجمة، ولو كان عندك من الكمال شطر صالح لما قال فيك الأديب سعيد بن صالح [3]:

يا له مخرفاً به قد خرفنا   وعددنا فيه من السخفا
ثم قالوا لقد تنفست فيه   قلت لكن تنفس الصعدا

وقال:

إذا بارك الله في مخرف   فلا بارك الله ببئر العزب
أكلت به الكحب [4] طول الخريف   وأذهبت فيه كثير الذهب

---

(١) : من العلماء الكبار له مؤلفات كثيرة في أصول الدين وفيه يقول الشاعر:

إني رأيت عجيبة في ذا الزمن   شاهدتها في وسط صنعاء اليمن
إن تسألوني ما الذي شاهدته   جملاً بها يقري الورى في كل فن

توفي في صنعاء سنة ٨٦٣ (انظر ترجمته في مطلع البدور والمستطاب).

(٢) نسبة الى مسجد (البهمة) من مساجد بئر العزب يقع غربي مسجد النزيلي عمّره الإمام المنصور علي بن العباس في القرن الثالث عشر (أنظر مساجد صنعاء) ص٢٢ وخطط صنعاء للمؤرخ زباره بتحقيقنا.

(٣) لعله يعني الأديب سعد بن صالح السمحي له ديوان شعر توفي سنة ١١٢٣.

(٤) الكحب جمع كحبه وهو الحصرم.

وقال بعض السادة الوزراء مخاطباً لبعض الأكابر الأمراء:

أعلمت يـا شرف المعـالي إنني جهلاً سكبت الدلو في بئر العزب
أنـا مـدّع إني امرؤ ذو مخـرف فيه وبيّنتي على (سوق العنب) [1]

(غيرة بعض المساجد وما انضاف إليها من المعاهد)

معند ذلك قام إليها مسجد (الصيّاد) [2] وتترَّس ببابه ولوى ساعده على الجياد، وحملقت منه العينان، وكاد أن يرجم الروضة بقبّة البستان، وعضدته تلك وحصبتها من زهر بستانها باللؤلؤ المنثور. وقالت: أيتها الروضة إن خالجتك في بئر العزب الشكوك فاحترمي آثار من كان هاهنا من الملوك واحتشمي الباني، إن لم تحتشمي من المباني، أما سمعت قول الفقيه البليغ زيد بن علي الخيواني [3]:

أيـا مـربعـاً كـانت تؤمّ فنـاءه ملوك وتغـدو نـحـوه وتـروح
وتنتجـع الـوفـاد غيث هبـاتـه ويبـدو بـه بـدر المنى ويـلوح
كـأن لم يكن مغنى لقـوم أكـارم شميم ثنـاهم في البـلاد يفـوح
ولكن هــذي عــادة مستمـرة لهـا في متون الكـائنات شـروح

فعند ذلك حـالت بينه وبـين (حضيرة الخنـدق) وقالت لـه: كم هذا الطيش يا أحمق إسمع بارك الله فيك (ولا تقطع درة أخيك) [4]، لم تعط سمعاً قد تشتت خلقه إلا لتسمع ضعف ما تتكلم، والصادر إليك من

---

(١) من أسواق بئر العزب.
(٢) من مساجد صنعاء
(٣) هو الأديب زيد بن علي قيس الخيواني سبق ذكره.
(٤) مقطع من حديث شهير ذكره البخاري في صحيحه.

الروضة ما تتجمل به وترتاش:

ثلاثة بجد
وكورجه حصر
وحمل نُوره
وثلاثة أحمال هشاش
ولا بأس عليك فالخير إليك أيتها الروضة خبّي في مجالك واستقصي شرح حالك.

فقامت الروضة وبسملت بعد أن تنحنحت وسعلت وقالت لها:

أما وقد كفيتني هذه المعضلة فأمري بالإنصات هذه المستفحلة، أما أنا فالسلطان حاتم اليامي [1] قد عرف أيامي وكان يقول: (إذا كان للنزه إمام فالروضة إمامي ولا أشتهي غيرها من يميني وشمالي وخلفي وأمامي)، وتعقّبه ولده السلطان [2] المنوع صاحب (مصب الدروع) فكانت له مملكة بدرب السلاطين وقامت لها ذات العماد على أساطين، واليوم قد انتقل ذلك الروح إلى أشرف سوح، فهو الآن ربعي المعمور بين (الشعبة) إلى دار (حنيش) إلى مسجد علي بن شمس الدين [3] إلى جامع أحمد المنصور فهي لمملكة المتنزهات (تخت) والجنة هناك أما

---

(١) هو السلطان حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل اليامي الهمداني تولى حكم صنعاء سنة ٥٣٣ باختيار همدان «الصليحون ٢٣٩».

(٢) يعني به ابنه علي بن حاتم تولى حكم صنعاء بعد والده سنة ٥٥٦ وله أخبار كثيرة في كتب التاريخ.

(٣) نسبة إلى الأمير علي بن شمس الدين بن يحيى شرف الدين تولى حكم كوكبان سنة ١٠١٧ (غاية الأماني ٧٩٤).

فوق أو تحت، وقس عليها سائر تلك الرياض النظرة مثل مغارس (الحلّة) و(الصافية) و(حضيرة شطيرة) و(غرس العشرة) وأما (الغراس) الذي انفرد انفراد (القيل) ومشى وحده مشي غرب الخيل، فهو ما أشتا شهده الإخوان، من (بني صبر) ولو نظرت الى متنزهات أولاد الأمير صلاح الحمزي، لمكك ذلك الأسلوب وبهرك ذلك الزيّ. وأمّا (حضائر الحاج علي) فغراسها غرائس وعناقيد مفارجها في خدود مدارجها أقراط ومسالس، وأمّا (حارة بني ليث) سقاها ملث الغيث فهي آخذة منيّ بالأعناق والشوق، خلا أنّها بعدت عن الجامع والحمّام والسوق.

(عقد فريد وميدان شوطه بعيد)

وأمّا غوطة مولانا الحسام [1] فهي لأعطارنا مسك الختام، فإن عنبها برء ساعة وهذه كلمة إجماع ويد الله مع الجماعة:

سال النظار [2] بها وقام الماء إذ   خدما فما وقفا بغير توقف
فالغصن بين متوّج ومقلّد   والزهر بين موشّح ومفوّف [3]
والطير ينقر طاره وإذا شدى   في الغصن جاء له الصبا بمغطرف

وعلى الجملة فأغصانها ناعمة، وظباؤها باغمة[4] وأطيارها ناغمة:

ملاعب جنة لو سار فيها   سليمان لسار بترجمان

وناهيك بتلك الدار التي حفل السعد بها ودار وأعطت محاسن

---

(١) لعله يعني به المحسن بن الحسين بن القاسم كما سيتضح فيما بعد.
(٢) النظار: الذهب.
(٣) ثوب ملفوف عليه خط رقيق أبيض على الطول.
(٤) البغام: صوت الظبية.

الكائنات في الليل والنهار، وقد أعتمت لارتفاعها بالسحاب، وأرخت منها ذوائب على تلك الوهاد والهضاب، فإذا دعت بالضوء عند ظلمة الأفق أو الغيوم تشاجرت على تسريح علاليها قناديل النجوم والوصف يطول ويعرض فيها، ومما قيل فيها وفي بانيها تعظيماً لقدرهما وتنويها:

هـذه الـدار التي أنشـأهـا ... للتّقى سيف أمـير المؤمنـين
غـرف الجنـة فيـها حـولهـا ... ربـوة ذات قـرار ومـعـين
أيها الداخـل بسمل ثم قـل ... صل يا رب على طه الأمـين
ثم أرّخ قـد زهى أبـوابهـا ... (أدخلوها بسلام آمنـين)

وتلقيت أيضاً عن كريم الجدّين القاضي علي بن الحسين [1]، وهو من تليل مجد أتلع وسالفة فخر أرفع (وبيوت أذن الله أن ترفع) قول الحكيم هادي بن علي الصرمي [2]:

دار بـروضـة حـاتـم ... في القلب سامية الإشـاده
شـمـخـت عـلى إرم الـتي ... قـد زخـرفت بيـد الإجـاده
وتـطاولـت غـرف غـدت ... زهـر النجـوم لهـا قـلاده
وبسـوحهـا جـهـر النّـدا ... وفي مـنـازلهـا الـعـبـاده
لـلمحسـن المـلك الـذي ... أعـطى من الملك الـزيـاده
لـذا أتى تـأريخـهـا ... (عمـرت لـه دار السعـاده)

وقول الضيا الولي زيد بن علي:

---

(١) من العلماء الأجلاء أنظر ترجمته في كتابنا مصادر الفكر الإسلامي.
(٢) من العلماء له مصنفات في علوم مختلفة توفي سنة ١١٢١ تقريباً.

ألا حبذا دار بروضة حاتم غدت بين تلك الدور واسطة السلك
ترى حوله الأعناب كالبحر منظراً وها هي وسط الحضائر كالفلك
كأن بها السبع الدواري لشأوها قناديل في أعلا ذراها بلا شك
بها السعد والإقبال واليمن حائم لذي العزمات الغر والمجد والفتك
حسام المعالي من بحسن ثنائه يفوح شذى من دونه نفحة المسك
وطير الهنا فيها تغنّى مؤرخاً أشاد (بناها محسن زينة الملك)

انتهى العقد المنظور لصاحب الطالع المسعود وأمّا جامعي، فمثل (الحدّ التام) عند المناطقة الأعلام فهو جامع للمسرة بلا نكير مانع من أن يؤتى له بنظير، وهو الذي قال فيه بعض شعراء اليمن لما سكن اليه واطمأن :

لا تحسب الجامع في روضة وإنما الروضة في الجامع [1]

وهو من محاسن الملك الهصور أحمد بن الإمام المنصور [2] وله الآن أولاد، أكرم من الصبا للضيف، لا يظعنون عني في شتاء ولا في صيف، وكان فيما مضى لجامعي في الخلوات شهود، مثل العلامة الكبسي [3] والخطيب الهبل [4] وسيدنا داود، واليوم مشاهدي عن الصّلحاء ما خلت وفيها رجال بذكر الله اشتغلت، كيف لا وفيها

---

(١) من شعر للمؤلف.

(٢) هو أبو طالب أحمد بن القاسم بن محمد ولد سنة ١٠٠٧ وكان من الرؤساء وهو الذي عمّر جامع الروضة وسمسرة ريدة بالبون من عمران وسمسرة الأزرقي من همدان توفي بصعده سنة ١٠٦٦ «ملحق البدر الطالع».

(٣) هو العلامة أحمد بن محمد الكبسي مكث مدة طويلة يدرس في جامع الروضة توفي سنة ١١٦١.

(٤) هو أحمد بن زيد بن علي الهبل تولى خطابة الجامع بالروضة وعمّر مدة من الزمن توفي ١١٨٥.

القطب الأعظم، والياقوت المعظّم أحمد الجربي[1] العابد ويتلوه ابن النحوي الناسك الزاهد، في أيّام الأمير يحيى بن علي[2] وهو من مملكتي على التّخت العلي. ويقول بعض الأشراف من قصيدة أرق من السلاف[3]:

انهض إلى أربعة صدرت	بالجيم كي يذهب الكرب
(جود) عمادالدين مع (جنة)	خضراء و(الجامع) و(الجرْبي)
فتلك سربى لا ظباء اللوى	يا صاحبي سِرْبي إلى سربي

ولي خاصة في الأمداح، مقام شهير ومن قصيدة لذلك الشَّريف وأظنه ابن الوزير:

ما يعدل الروضة الغنّا وبهجتها	سوى جنان الخلد فلا تنقص ولا تزد
فنونها نعمة للناظرين وفي	أفنانها نغمة للطائر الغرد
أقمارها عانقت أغصانها جَذَلاً	فصافحتها قماراها يدًا بيد
والفوح يحمل في راحات ساحتها	مجامر النّد في الحارات والسدد
والنهر يمشي الهوينا في مخارفها	كأنه الملك يمشي مشي مقتصد
ورازقيا[4] غدا في كف قاطفه	كأنه ذهب في كف منتقد
لا أخطر الروضة الغنّاء في فكري	إلا ودارت جنان الخلد في خَلَدي

قال الأمير فرج، عجّل الله له الفرج وشرح صدره ولا حرج:

(١) هو أحمد بن عبدالله الجربي من العلماء الزهاد العزل عن الناس سنة ١٠٨٨ واشتغل بالعبادة بجامع الروضة توفي سنة ١١١٥ (نشر العرف ١/١٦١).

(٢) هو يحيى بن علي بن اسماعيل بن القاسم أحد أمراء زمانه توفي مقتولاً سنة ١١٢٠.

(٣) من قصيدة للمؤلف.

(٤) من أنواع العنب في صنعاء.

هذا مما تضرب له النوبة [1] وتضيق معه على بئر العزب التوبة.

رجعنا إلى كلام الروضة ـ وما طلّحت [2] به عليّ وفوّقت سهام الانتقاص إليّ من تلك المتنزهات التي خبت نارها وذهب شنارها فقد استكملت لذّاتها وأعادت سناها أخواتها، كسائر البيوت المستجدة التي أنشأها من أولاد الملوك عدة.

فإن الدار التي ابتدعها ذو الشرف الجلي الحسين بن علي ما هي إلاّ خورنق وسدير محفوفة بروضة وغدير كما إن نزهة الملك العلم، نار على علم في محل يقصر شعب بوان عن مثاله، ويعوذ بالصلاة على النبي وآله. ويتلوه متنزه الصارم الصمصام ريحانه، فدار الإمام، واختصت تلك الدار بحسن الصناعة مع قربهامن مواضع الطاعة، فدع عنك يا بئر العزب ما يدعو الى التباغض واسلك بنا مسلك الترجيح والتعارض.

(معيار موزون والحديث ذو شجون)

ولهذا نظائر وأشباه بلا خلاف ومحل الشاهد الآن (الجراف)، فإن المتحامل تطلح عليه (ببيت صليعات) وخرابة اليعفري وبيت أحمد بن صلاح ريحان و(ديمة) [3] السيد أشقرى ودكان دبوس اليازجي الخاوي على العروش والمسجد الذي كان يصلّي فيه مهدي الباشروش ومثل آثار خزائن المطهر وباقي بيت مصطفى قرندل، واصطبل الآغا اسكندر

---

(١) الفرقة الموسيقية للعسكر والأمير.

(٢) طلح عليه: ألح.

(٣) الديمة بلغة اهل صنعاء الدكانة أو المنزل الصغير ويطلق أيضاً على المطبخ.

والمنصف يميل إلى ما تشتاقه النفوس ونشد المتحامل بلسان فصيح ووجه عبوس:

خير الطيور على القصور وشرّها　　　يأوي الخراب ويسكن الناووسا

وإنما النظر إلى حولي مسجد الحشوش من تلك المشارع والعروش، وإلى دار أولاد الأمير الكبير حميدالدين بن مطهر وما حفّ بها من ذلك النهر الأزرق والريف الأخضر، سيما الرقة التي بجنب الدار والغرس والمسكن الذي لم يفصل بينها وبينه إلا جدار، وإلى سائر الدور التي يحوم طير السعادة حولها ويدور، وتجلّى في علاليها شموس وبدور. سيما بيوت بني حابس[1] أقمار المجالس وشموس المدارس والبيت المفرد المتميز المنسوب إلى أولاد المتميّز، والبيت المتوسط بين الصغير والكبير المنسوب في ضيعة بئر مرجان إلى (بني الوزير)، لولا مجاورته لتلك الخرابة التي كسته جلباب الكآبة وسلبت عن النظارة أعنابه، فهو المراد بالبيت المفرد إلى السيد ابراهيم بن محمد[2].

ودار لنا في (بيرزيد) نحبّها　　　وإن لم نطل بنيانها ونشيد

وأما متنزهات بني سبا فقد ذهبت مع الهبا (وتفرقت أيدي سبا) وكان بها المحدث الشهير صلاح بن أحمد الوزير[3] طالما أكرم بها الوفود وأوقد في مناظرها مجامر العود، حتى تعطرت بروائحها الأغوار

(١) من أشهر علمائهم أحمد بن يحيى حابس المتوفى سنة ١٠٦١ والحسن بن يحيى حابس المتوفى ١٠٧٨ وغيرهما.

(٢) يعني به العلامة ابراهيم بن محمد الوزير المتوفى سنة ٩١٤.

(٣) هو صلاح بن أحمد بن عبدالله الوزير ولد سنة ٩٤٥ وسكن كوكبان وله عدة تلامذة ملحق البدر الطالع ١٠٥.

والنجود، وكثير ما قصد إليها جعفر [١] باشا لحل ما أشكل عليه في (تفسير أبي السعود) [٢] واستهل من أسارير غرّته الهاشمية طوالع السعود. والآن:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وخلفه العلامة الجلال [٣] في المزارع وتلك الحلال وها هي بلاقع وأطلال كأن لم يعمرها الجلال الثاني للجلال الدوّاني [٤] بالنظر العميق والفكر الدقيق بتصفح (شرح المختصر) للعضد [٥] والأصفهاني [٦]، وقد درست بعده هناك آثار مملكة مليك اليمن أبي الضيائين العماد والشهاب محمد بن الحسن [٧]، كما فعلت الأقدار في أولئك الملوك الكبار فعل الصولجان بالكرة كأن لم تضرب النوبة الرومية ولم تحمحم

---

(١) وليَ اليمن للأتراك سنة ١٠١٦ وكان كثيراً ما يتباحث مع العلامة صلاح بن أحمد الوزير وقد سأله ذات مرة: من أفضل الصحابة؟ قال أبو بكر. فقال: أتفضله على علي بن أبي طالب؟ قال أنت سألتني عن الصحابة ولم تسألني عن القرابة.

(٢) يسمى أيضاً (إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم) تأليف أبي السعود بن محمد العمادي التركي المتوفى سنة ٩٨٢ «كشف الظنون» ٢/٥ح.

(٣) هو العلامة الشهير الحسن بن أحمد الجلال استقر في آخر عمره بالجراف وتوفي بها سنة ١٠٨٤.

(٤) هو جلال الدين محمد بن أسعد الدواني من العلماء ينسب إلى دوان من كازورون في فارس توفي سنة ٩١٨ «الأعلام ح/٢٥٧».

(٥) هو عبدالرحمن بن أحمد الأيجي المتوفى سنة ٧٥٦ وكتابه شرح المختصر شرح فيه. كتاب المنتهى في أصول الفقه لابن الحاجب وهو مطبوع.

(٦) هو شمس الدين محمود بن عبدالرحمن الأصفهاني المتوفى سنة ٧٤٩، له شرح على المختصر.

(٧) هو محمد بن الحسن بن القاسم بن محمد توفي بالروضة سنة ١٠٧٩ «إتحاف المهتدين ٨٢».

الصافنات الأعوجية[1] حول تلك المدور [2]، سبحان القديم الوارث الذي لا تغيره الحوادث، فاعرف يا بئر العزب أن الأرض هكذا وإنه لا بد فيها من ذا وذا وذا:

وإذا الحبيب أتى بفرد مساءة | جاءت محاسنه بألف شفيع

وأما انت فأكثر من التمني بليت وتساجل أنت وفروة [3] بيتاً ببيت، فإنما عنبك عتب، ومسارعك خشب ورأسك ذنب أليس الخارج إليك عشيّة يستقبل الشمس، والمبكر إلى صنعاء يلقاه منها ما لقيه بالأمس فاترك القلقة والصفير فإنما أنت من حروف الهمس ومن يحقر وسط عينيه حيناً بالعشر وحيناً بالخمس:

ودع الوعيد فما وعيد ضائري | أطنين أجنحة الذباب يضير

ولو قيّدك العقل بعقال لنظرت في قول من قال:

بقدر الصعود يكون الهبوط | فإيّاك والرتب العاليه
وكن في مكان إذا ما سقطت | تقوم ورجلاك في عافيه

ومن هنا ينسد باب الخصام ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام.

(توجه بئر العزب إلى الوادي وإعلانها الشكوى في الحواضر والبوادي)

ثم إن بئر العزب تنحّت عن طريقها بعد أن شرقت بريقها،

---

(١) الاعوجية: الخيل عطفت رأسها.

(٢) الديار

(٣) فروه: مسجد يقع في جهة الجبانة بالقرب من سور صنعاء «مساجد صنعاء ٨٩».

وأسبغت الوضوء من إبريقها فدخلت مسجد (قارش) [1] وأمرت له بثلاث مفارش، ثم أقامت صلاة الجمعة جماعة، بعد أن صلحت قساطير حلقها ساعة. وحين انقضى بالصلاة دينها وقرّت هناك عينها نادت على متنزهاتها بالعرض وأملت: (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض)[2].

ثم سارت إلى الوادي وما حواليه من البوادي، واستخلفت بعض نوّابها وأمسك بيت الفقيه على السّوادي بركابها، ولما شاهدها صالح بن عاطف لانت منه المعاطف ودنت من أدبه المقاطف حتى عاودته القريحة وأنشدها بلسان فصيحة:

وإذا الكريم رأى الخمول نزيله	في منزل فالرأي أن يتحولا
كالبدر لما أن تضاءل جدّ في	طلب الكمال فحازه متنقلا
لا تحسبن ذهاب نفسك موتها	ما الموت إلاّ أن تعيش مذلّلا
فارق ترق كالسيف سُلَّ فبان في	متنه ما أخفى القراب وأخملا

ولما جدّت في السير وتخلفت عنها (بير القاضي البكير) وخرجت عليها خروج طلحة والزبير، وقالت لها اختصي بالويل كما اختصصت بالغيل، وإلا كنا فيه على سواء واعقدي عليَّ صنجقا [3] ولواء:

وإذا تكون كريهة أدعى لها	وإذا بحاسي الحيس يدعى جندب

---

(1) قارش: مسجد صغير في بئر العزب بالقرب من مسجد حنظل «مساجد صنعاء ص «٩».

(2) سورة الحج ١٠.

(3) الصنجق والسنجق: اللوا «فارسية».

وحين فارقت المحل وانتهت إلى (باب المنجل)، قضت هناك عنان الحمار ورمت (قبر ابن أبي البغل) بثلاث أحجار، وحين قابلت (ريشان) [1] استقالت بذلك المكان فوقفت في صفها ووضعت المرأة في أنفها، ثم طالعت برهة في بيت القصيد وترجمت على الشيخ (سعيد) وحنت حنين السقب [2] الشرود وأنشدت وهي بنفسها تجود:

يا عين إن بَعُدَ الحبيب وداره ونأت منازله وشط مزاره
فلك الهناء لقد حظيت بطائل إن لم تريه فهذه آثاره

ولما أطلت بعض إطلالة على الجبل المرتفع على حجاك تحدّرت إلى (ثقبان) لزيارة من بقي من السكان، ثم التفتت بعد ذلك إلى وزيرها (سبكتكين)، وهو الواسطة بينها وبين أهل صنعاء في بيع التين، وأمرته أن يستلحق بقية أهل النادي ويصل بهم إلى دار الشريف محمد الهادي، ولما انتهت إلى قرية (القايل) تلقاها الأشراف والقبائل، فلما قابلوها بوجه طليق ذهب عنها ما كانت تجد من الضيق، ثم وزعت قومها وأقامت هناك يومها ثم صلَّت الفجر في (دار الحجر) ونصب لها الصِّيوان في تلك الحجر، بعد أن تزيَّنت لها دار الجاكي وأتحفتها من النزه بالوعرين وما يقصر عنه الحاكي.

(إلتقاء بئر العزب بوادي ظهر)

ولما مثل بين يديها وادي (ظهر) قالت له: إلى اليوم يا أبا صخر يا عزيز النصرة يا غزير النهر، أما علمت أن الروضة استولت على محاسني

---

(١) هو اسم جبل ملحان.
(٢) ولد الناقة.

بالغلبة والقهر، ثم إنها التفتت إلى عبدها مسرور وقالت له هذا الوادي هو الحقيق بقول سنبل بن سرور [1]:

سقى الله من لقيـاه أول ليـلة فلا شك عنـدي أنها ليلة القدر
نكرت جميع الناس حين عـرفته ومن عرف العقيان يزهد في الصفر

ولما ذاق ابن عاطف حلاوة خطابها مع ما اشتمل عليه من حسن تأديتها وإعرابها، استأذنها في التغريـد [2] واعتذر لغلبـة النشوة عليـه بقول الطائر الغريد:

سقوني وقالوا لا تغنِّ ولو سقـوا جبـال حنين مـا سقـوني لغنت

فقال لها الـوادي اعلمي إني وإن كنت المحكم فلست بالقـاضي يحيى بن أكثم [3] ، ولكني سأندب لهذه الرويضة وأحكم بينهما حكم سعد في بني قريضة، ثم استدعى إلى حضرته غوطة التباقل وغـروس بني العجل وما جاورهما من ذلـك المسجد الأزهـر الذي هـو من آثار المليك المطهر.

فأقبلت إقبال الوجل وتربّعت بين يديه ربائع العجل فقال لها: إني مرسل إلى هذه الروضة لما سيظهر مضمونه ويبرز مكنونه،وأنت رسولي

---

(١) هو الأديب سنبل بن سرور الكوكباني له نـظم كثير أغلبـه في مدح الأمـير محمد بن حسـين بن عبدالقـادر الكوكبـاني توفي بعـد سنـة ١٠٦٢ تقـريبـا. «نشر العـرف» ١/٧٤٣.

(٢) التغريد بلهجة أهل اليمن هو الحدا

(٣) هو يحيى بن أكثم بن محمد المروزي ولي قضاء بغـداد في زمن المأمـون توفي سنـة ٢٤٢.

يا مسجد مطهر وما إليك من هذه الحجول والغرر، فاذهب إلى أكرم ما تحت يدي من الكرم وتجمل بهذا الكلم [1] والبوق والبجاد والبرم.

فقام على رجل واحدةٍ واندفع بهمة مساعدة، ولما كان من الغد أقبل بذلك المدد يقدمه (سعدان) و(غراس أسعد) ويتبعه (غرس المندليق) الذي يسيل لحلاوته الريق على ميمنته البحر الزخّار وفي ميسرته (الحجلة) وهي من الخيار، وأقبلت (سدال) تتوثّب توثّب الرئبال وأذنت لدورها أن تعتذر لبدورها وفي أثرها (ترابه) تجرّ التراب من ورائها كالذُّوابة. وأما غرس (نعيمان) فأقبل وهو يقول أين مثلي هيهات:

يطأ الثرى من تيهه مترفقاً ... فكأنه آس يجسّ عليلا

وتبعت (العشة) ورياحين النعيم في طاقات الزهر وكرات الأترج والليم وجاء (الأحجل) يمشي مشية الأخيل، وانفرد عنها (قطران المعبري) كما انفرد أبو الحسن العنبري [2] وقصَّرت (النيسة) عن السير الخفيف ثقة لجلالة قدرها، فإنها تبقى إلى آخر الخريف. وأمّا (غرس الزبيري) و(حضيرة الشيخ صلاح)، فإنهما وصلا لابسي لامة الكفاح، وأبرز وضعاً في أنهما استبطآ (بئر دار الحجر) قبل أن يجري ذلك النهر المطيع ويظهر.

فلما حصل الجميع بين يدي الوادي قال: إذا كان الغد فاحضروا مقامي يا أولادي:

(١) مفرد كليم وهو السجاد أو البسط.

(٢) من علماء المعتزلة.

فــإن يك صــدر هذا اليــوم ولًّى   فــإن غــداً لنــاظــره قــريب

ولما انسلخ الليل عن إهابـه وسـلَّ على الصبـاح سلّة قرضـابه، صعد الوادي إلى (طيبه) ونظر في تلك الآثار وأكثر من الحوقلة والاعتبار وراجع فلكياً هناك في حركـات الكواكب ونـظر معه في (البهت) (*) و(المركز المعدل)(*) و(النموذار)(*) و(الزيرجة)(*) و(الهيلاح)(*) و(الطالع(*) و(الغارب)(*) ثم تسنَّم الوادي إلى (القصبات) وهو أشبه شيء بصومعة الرهبان، وسرح نـظره في حجر الأمـير و(المستغل) و(عطشان). ولما أخفى السؤال عن (السمتغل) واشتغل به خاطره واشتغل. قال له ذلك الفلكي وهو معه في إحدى المناظر الأربع متكى، أخبرني الثقة السيد العظيم العلامة الكريم أبو أحمد محمد بن إبراهيم لأنه كان يقول: من كان ماله بين (قده) والمستغل ما انزعج خاطره ولا اشتغل.

(وفود القرية على الوادي حزينة وإشارتها إليه غير متبرجة بزينة)

وبينما هو يصرف النظر بالتصويب والتصعيد إذ بصر بالقرية تشير إليه من مكان بعيد، وما زالت تسرقه بلحظ المغاضب وتهز فنجتها عليه وتغمز بالحواجب، ففهم إشارتها وعجَّل بشارتها وقال لها: يا أم سَعَن يا كثيرة المحن، ترفقي يا هذه عن الغير فأنت عندي بمنـزلة ينحـدر عنها السيل ولا يـرقى إليها الـطير، إنما أنـا وإيّاك حـاشيتان في نمط، وجوهرتان في سفط. ويكفيك إذا اجتمع غدا الضيفان تحضري معنا على العشاء أو الغدا ، فإن ثقل هذا عليك فالأمر فيه إليك وإن قدرت على

(*) مصطلحات فلكية.

المعاونة، وفي الضيفة فابعثي بما أمكن منها صحبة وصيفة.

فعادت القرية إلى وطنها، وقد ندمت على سوء ظنها ثم بعث إليه صحبة (الكداو)[1] بثلاثة صحون سنبوسة[2] وفالوذة[3] وقلاو، وتبع في إثرها الخرَاج وبيده ثلاثة صحون رز وكشري [4] ودجاج ولحِقهما وعراً أبو يحيى بالملاعق و(الحلبة) الكوكبانية والاشار الموافق، وجاءت (الشرما) بقطع (البالوذة) ممزوجة بحبّ الرمّان وادعت أنه نوع لذيذ يسمى (خرميان)، وقد بالغت في الإتحاف والسماح، وأما تلك الدعوى فأكذب من (سجاح). وجاءت بعد الكل فائقة بأنفاس عطرة، وطلعة فائقة وفي إحدى يديها مجمرة وفي الأخرى قطعة من (مختار) [5] خان، فيها من عود وطاقة عطر صندل وبيعة عنبر.

(إرسال (حجال) لروضة حاتم لترتفع الشكوى وتقضى المغارم)

ثم قال: الوادي سر على اسم الله يا (حجال) وائتني بذات الأقراط والأحجال، وحمّله طرساً في طيّه الإيداع المتين من الذكر المبين. ﴿إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألَّا تعلوا عليَّ وأْتوني مسلمين﴾[6] وحين سمعته روضة حاتم أقامت في ناديها الماتم وحثت

---

(١) الفنجة بلغة أهل اليمن.

(٢) السنبوسق أو السنبوسك ما يحشى به اللحوم والجوز من رقاق العجين المعجون بالسمن والكلمة فارسية.

(٣) الفالوذة معرب بالوذة حلوى تصنع من الدقيق والكلمة فارسية.

(٤) الكشر في اللغة الخبز اليابس.

(٥) أغلب الظن انه نوع من البن وهو من الأسماء التركية التي أدخلوها الى اليمن.

(٦) سورة النمل الآية ٣٠، ٣١.

بطارقتها على اجتماعهم وأطارت ما في المكتوب إلى وكر أسماعهم، ثم قالت: ﴿يا أيها الملأ أَفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون. قالوا: نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين﴾[1].

فالتفتت الروضة إلى (حجال) وقالت: أشد صاحبك عني قول من قال:

وما أنا إلا النار في الزند كامن   فإن شئت قدح النار مني فاقدح
وما أنا إلا البحر والموج طافح   فإن شئت خوض البحر مني فاسبح

فأمسك لحيته عليها (حجال) وقال: إن لم تأت صاغرة فما أنا من الرِّجال. ولما أخبر الوادي بما انطوت عليه من غشّها خرطم وبرطم وقال: ﴿يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها﴾[2].

وفي أثناء ذلك قالت لخواصها: أراكم تمارونني إما لخوف وإما لحياء وقد جزمت بالقدوم على هذا الغشوم قبل وصول آصف بن برخياء[3].

فلم يشعر الوادي ومن معه من نزه من البوادي، إلا وقد وصلت متكئة على (الحرقان) متشفعة بالفرقان فسكن منه الغضب وقدم إليها من الضِّيافة ما يقضي له بالحسب.

وألقت عصاها واستقرَّ بها النوى   كما قرَّ عينا بالإياب المسافر

---

(١) سورة النمل الآية ٣٢، ٣٣.
(٢) سورة النمل الآية ٣٨.
(٣) أحد جن سليمان الذي وصفه القرآن بأنه عنده علم من الكتاب.

خلا أنه قال لها وقد جثت بين يديه وحيت بتحية الملوك عليه ودعت له بدوام الإقتدار، وأهدت لجامع طيبه إمام محراب صحبته خطيب ومؤذن وسنى دار [١] ما خير بلغني عنك وعن بئر العزب وها أنتما مقام الطلب ومظنة توقير الأدب قم بها الى قلعة (طيبة)[٢] ياجدر[٣] واجعلهما في الترسيم المستقر واحسم بحبسهما المفسدة ولا تبرح تنقلهما من القلعة الى (فده) [٤]) بعد أن يحرم عليهما الكلام وتأمرهما بالتوبة والصيام.

(وفود السر بما أودع فيه من السر)[٥]

وفي أثناء ذلك أقبل السرْ وهو يقول «إمصيام في امسفر ليس من امبر»[٦] والرأي إن لم يحصل تراض فاقض بينهما بما أنت قاض، فقال له الوادي: ما أحقك بمطر غزير بعد هذا النظر الذي ليس له نظير.

ثم إن الوادي سرَّح لحيته ومشَط، وأحتبى ووقف في الوسط، بعد أن صعد على (منيف)[٧] وهو حصن هناك منيف أحاط به الريف

---

(١) القائم بمهمة السنى ولا تزال هذه الكلمة الى الآن مستعملة وهي من بقايا المصطلحات التركية.

(٢) طيبه من وادي ضهر من ناحية همدان.

(٣) من سدس بني الحارث ناحية صنعاء.

(٤) حصن من وادي ضهر أيضاً.

(٥) واد معروف من ناحية بني حشيش.

(٦) حديث نبوي شهير ورد في كتب الصحاح من عدة طرق وهو هكذا «ليس من البر الصيام في السفر».
أخرجه مسلم والبخاري وابو داود والنسائي عن جابر عن ابن عمر.

(٧) في غاية الأماني ان حصن منيف يقع في وادي ضهر «٥٣١».

وكان فيما مضى معقلاً لبني طريف [1] ثم قال: بسم الله الذي قِيله أقوم قيل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، والحمد لله الذي أنزل على عبده من الهدى والبينات ﴿وفي الأرض قطع متجاورات﴾ [2] فلو أن حسن المنازه وطيب الفواكه مِمّا عمَّ الكل لما قال (يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل﴾[2] والصلاة والسلام على من اجتمع فيه الكمال الموزّع وتفرق في غيره من ملك وإنسان ومرتع ومربع، أمّا بعد فإن الروضة وبئر العزب قد أخذا من فنون الفخر من أعجب العجب مع ما أبرزه كل منهما في الآخر من العيب. والحق أن في كل منهما قوّة وضعفاً بلا ريب. فللروضة طيب الأثمار قَطْعا إلا أن فيها البعد على من حركته كل يوم إلى صنعا، سيّما الضعيف كالمقعد والأعرج والأكمه، ومن لا دابة له مثل «الغصاني» و«عنقوب» و«العرمه». وبئر العزب قربها من أزال لمن لا يبرح في حركة ولا يزال، إلا أن في عنبها تمويهاً وعلى التحقيق أنه لا يؤكل إلّا فيها:

تعطيك من طرف اللسان حلاوة وتروغ عنك كما يروغ الثعلب

وأما المساجد والمشاهد والمساكن والمعاهد فالأحوال متساوية والأقدام متدانية، وإن قيل أن هوى بئر العزب بارق وريفها أمتع للنظر فذلك في التحقيق من زيادة النفيس والأمر مغتفر. أقول قولي هذا وأستغفر الله بلسان واحد، نجز الكلام و«القول ما قالت حذام».

ثم تقدمت الروضة إلى بئر العزب واعتنقتها بعد أن تجاثيا على الركب.

---

(١) بنو طريف جماعة كانوا يحكمون في صنعاء ونواحيها خلال القرن الثالث الهجري.
(٢) سورة الرعد (٤).

(غيرة علمان [1] على ابن عمه ذهبان)[2]

ولما اغتاض علمان سارق النظر إلى ذهبان فقال له: قل وعليك الأمان، فقال لولا السرّ لما ظهر هذا السر ولا تم هذا البر، ولكنت أنت الحكم. فأثار منه كامنا وحرك منه ساكنا. حتى انحدر على (السر) (ذهبان) وناداه بأفصح لسان، أيها السر لقد حسن قدح ليس منها فاكرم نفسك ولا تهنها وإلا فاستهدف للنعال فإنك الذي صدق فيك قول من قال:

تحول عن (السر) واقصد ربى أزال إذا كنت حبراً نبيها
إذا فزت فيها بلطف الجليس وطيب المجالس فالسرّ فيها

إنما أنت في ظهر (ذي مرمر) كالجراب وقصارى بضاعتك قدور رأسيات وجفان كالجواب:

وابن لبون إذا ما لز في قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس

فقال له السر: يا أخا المسغبة والأحوال المتعبة عيّر بهذه المقالة (عاشر) و(الحشيشة) و(سعوان) و(الخربة) وأيضاً إحذر براهين (فليح) فعند الفلاحين في فضله خبر صحيح، ولو هديت النجدين لعلمت فضيلة عنب (النجدين) وأيضاً ففي سعوان [3] جنات من أعناب صنوان وغير صنوان، واسأل بني (الزرزار) وبني (القرقار) وبني (مرجز) وبني (زرجم) وبني (قبان):

---

(١) علمان بلدة أسفل وادي ضهر وهي بضم العين.

(٢) من قرى ناحية بني الحارث من صنعاء.

(٣) من ناحية بني حشيش.

جـاء شـقـيـق عـارض رمحـه إن بـني عمّـك فـيهـم رمـاح

وأما أنا فجهلت أن الفرس كانت تسمى عيني مسبوك الذهب ومحلول الضَّربْ سيّما الأبنـاء فقد اختـاره و(هرزا ابـو شيرويـه) (١) و(حصن سعد) و(الحديدة) فانهما منتزه (باذان ابن بابويـه) (٢) أما بلغـك أني مهاجر العلماء العظماء النحارير مثل بني (الظفارى) وبني (الأزهـري) وبني (حميد) وبني (مرغم) وبني (الوزير).

قال السلطان فرج: أخبرني من له بمعرفة أحوال السلف عناية عن صاحب (٣) البسامة و(الفصول) و(الهداية): أنه كان يستقر أيام الشتاء بصنعاء والعلم يومئذ طافح نحواً ولغة وحكمة وأصلاً وفرعاً ثم ينتقل أيام الربيع إلى (حده) (٤) ويشتمل على ملابس أنسها المستجدة، ثم يستقبل أوائل الخريف (بالجراف) وأعنابه يومئذ دانية المقاطف وأغصانه مائلة المعاطف فيجتمع إليه من أبناء العلوم عوالم في معهـد هو اليـوم أشبه بمفرج الشَّريف اسماعيل جلاعم، قد أبدت فيه المسرّات أساريرها وأطـاعت قضبان المـاء قساطيـرها (٥) وظهـرت جواهـر زهوره كنـوز وتغنّت طيوره بكل لحن مرموز، حتى إذا استوت فواكـه الجراف ودَنَتْ

---

(١) هو قائد الفرس المبعوث من قبل كسرى الى اليمن (أنظر خلاصة السيرة» (١٥١)
(٢) كان والياً على اليمن من قبل كسير حتى بعث الرسول ﷺ فأسلم سنة ١٠. (تاريخ صنعاء ٤٧٢).
(٣) هو العلامة ابراهيم بن محمد الوزير السابق ذكره وكتابه البسامة عبارة عن منظومة في التاريخ شرحها جماعة من العلماء وكتاب الفصول يسمى الفصول اللؤلؤية في أصول الفقه، والهداية يسمى «هداية الأفكار» شرح فيه كتاب الأزهار وجميعها مخطوطة.
(٤) من أجمل قرى صنعاء من بني شهاب حبة البستان.
(٥) ميازينها.

من فواكه (السر) غصون الاقتطاف والتَوتْ من أغصان خوخه ورمّانه الأعطاف،أقبل بكتائب كتبه إليه وانثالت طوائف الطلبة من كل أوب عليه وأنّها كانت تفد الأسئلة عليه إلى ذلك السُّوحالبهيج، كما كانت ترد المسائل على القاضي عضد الدين [1] الى قلعة (ايج) وهذا هو العيش الأخضر والوقت الأزهر فيا أسفاه على اندراس الفضائل وخلو زوايا العلوم عن خبايا الأفاضل.

ثم إنه قال (السر) (لذهبان) بعد ان تمَّ له الدّست وكاد أن ينضح وجهه بماء (القلت)[2]: أما خفت أن أطحن هامتك (بالقضاضة) و(الحَضَرْ) أما رهبْت حصني (ذي مرمر) الذي هو أرسخ من حُضِرٍ، وفي ذلك الشَّامخ الأطول يقول المليك البليغ السموءل:

لنا جبل يحتلّه من نجيره منيع يردّ الطرف وهو كليل
نما أصله فوق الثرى وسما به إلى النَّجم فرع لا ينال طويل
هو الأبلق الفرد الذي سار ذكره يعز على من رامه ويطول

ولما فيه من الآثار الرائعة التي افتعلتها الصُّناع التبابعة زعم من حوليه من السكان أن مخروطاته من صنائع الجان وناهيك أن مليك اليمن المهدي أحمد بن الحسن[3] نصبه في تكرمة ممالكه عروسا وجعله في باذخ مجده قدموسا[4] وانظر الى ما تحته من الأساس وتلك

---

(١) عضدالدين الأيجي سبق ترجمته.

(٢) القلت: النقره في الصخرة او العين ونحوها.

(٣) حكمة من سنة ١٠٨٧ الى سنة ١٠٩٢ سنة وفاته.

(٤) القدموس قائد الجيش

الدُّور التي بالفراس[1] وإليه ما في (مرزبـان) و (زجان)[2] من رقـة النسيم ولطف الأنفاس، تجد ما قلته صحيحا وسند فضلك جريحا ولو طـولت القَدَمْ الى الحَرَّة لآنستك بمـا أنشأتـه في ذي جبلة الصليحيـه الحرة[3] ولو وافيتها وفيها الضياء إسماعيل وأخوه الحسـام الصَّقيل لقلت هذا النعمان وأخوه وهذه المعرّة[4] وشهدت هناك أعناباً دانية القطاف وشمائل يميل بسكرها السلاف إلى ممالك تنسيك سلطان زبيد ابن مهدي[5] وفراسة تطرح عنـدها فـراسة عمـرو بن معدي[6] وكرم يقول فيه قاضي المروّة صحّ وتقرر عندي مع سعادة يقضي منها العجب وخط كأنه سلاسل الذهب أما وصلك يا ذهبان التهـديد من قبلي أما سمعت ما قال إمام العلم والحديث فيّ وفي جبلي:

لله أيامي (بذي مرمر)[7] وطيب أوقاتي بربع (الغراس)
والشمل مجموع من ارتضى (والسرّ) فيه السرّ والناس ناس
والجنس منظوم إلى جنسه وأحسن النظم نظام الجناس[8]
وسفح (حذان)[9] إلى جانبيْ (غضران) من تلك الربوع الأناس

---

(١) قرية من ناحية بني الحارث صنعاء في سفح حصن ذي مرمر

(٢) قرية من نـاحية بني الحـارث في الشمال الشـرقي من صنعاء عـلى مسافـة خمس ساعات.

(٣) الحرة الصليحية هي السيدة أروى بنت أحمد الصليحية من ملكات اليمن توفيت سنة ٥٣٢.

(٤) يعني معرة النعمان من الشام

(٥) هو علي بن مهدي حكم زبيد سنة ٥٤٥ وتوفي سنة ٥٥٤.

(٦) شاعر وفارس مشهور توفي سنة ٢١هـ.

(٧) من ناحية بني حشيش

(٨) الجناس في علم البديع تشابه الكلمتين في اللفظ واختلافهما في المعنى.

(٩) من قرى بني خشيش

ملاعب تجري بها خيلنا في السلم والحرب الشديد المراس
وزهر (زهران) لنا مجتبى وقاته[1] الهازم جند النعاس
والشامخ الفرد لنا موئل يمنعنا الله به كل باس
له من الزهر نطاق ومن سحائب المزن الغوادي لباس

ومنتهى فخرك (ينور) وبيت خارب في أعلاه كالتَّنور غذاؤك قليل وما قيل فيك على إقتارك أعظم دليل:

سكان ذهبان شيعة بوله في عكس ما يبتغونه طرق
يلعن في صبحه معاويه فيعدم اللحم فيه والمَرق

ولو حسن منك الجوار لما رفعت بيوت أهل صنعاء على بيوت العلماء الأخيار والشيعة الأبرار مثل (بني النجار) الذين هم في الأنصار خيار الخيار، فتطهَّر من هذه الأوضار وتمضض من الغدير واستنشق من القطّار، ولو كان الفخر بمجرد العنب المختار لسبق إليه غيري وغيرك، في ميدان الفخار وحسبك أن بيض الحمام في الحرة والرَّازقي في (خلقه)[2] من أفضل ما اخترعه الله وخلقه، ودع عنك ما في (حريب)[3] من محاسن العنب والزبيب لكنه للخلو عن السكان كالعين بلا إنسان والثَّغر بلا أسنان ويلحق بذلك مخلاف (خارف) وما فيه من النفائس والمخارف وقد كان أهلوه في زمن النبوّة أولي

---

(١) القات نبات معروف يستعمل في اليمن. وهذا تنبيه لغير أهل اليمن.
(٢) من نواحي البيضاء وما جاورها ذكرت في معارك صفي الدين أحمد بن الحسن مع سلاطين الجنوب.
(٣) ناحية معروفة بالقرب من مأرب.

بأس شديد وأولي قوة وهم الذين وفدوا على نبي الرحمة، وجعل لهم تلك المراسم المعظمة ومن عظمائهم مالك بن نمط الهمام[1] فراجع لأكثر ما ذكرته سيرة ابن هشام[2] وفي كتب التفسير انه لما استقر بعد الخسف أهل (ضروان)[3] أبدلهم الله بواد يقال له الخيوان لا يحمل البغل من عينها غير العنقود فسبحان القادر العطوف الحليم الودود.

وأما قطر/السوده[4] فقد ذكر أن فيها من الفواكه ما يعول عليه وناهيك بطرح مرزوق فإنه مما يستحسن ويروق.

وبلغني أن (خبان)[5] كاد أن يلحق بشقبان والعبره بالانكشاف عند الامتحان. وأما (سنحان)[6] وما يشاكله من تلك البلدان ففواكهه من ابْنا العَلات وإن زكت منه سائر الغلات، وقد حفِظْتُ عن السلطان فرج أن تفاوت الطِّين كتفاوت السلاطين ومصداقه أن غيضة العنب التي بريمة إبن حميد مما أسعد فيه الحظ أبا الضائين إسماعيل وزيد، وأن عناقيدها كعقود الجمان وكراة رمّانها كالأحقاق المملوءة باليواقيت والمرجان وقد شرف منها الآثار بذلك المسجد والدَّار المحفوفين بربوة ذات قرار، ومن نسبت إليه حقيق

---

(١) هو مالك بن نمط بن قيس الهمداني الأرجي صحابي شاعر وفد على النبي ﷺ سنة ٩ فأرسله الى من أسلم من قومه (الإصابة رقم ٧٦٩٦ والأعلام ج٦ ص١٤٥).

(٢) كتاب سيرة إبن هشام من أشهر الكتب في سيرة الرسول ﷺ هذبها واختصرها من سيرة إسحق ومؤلفها هو عبدالملك بن هاشم بن أيوب الحميري المعافري ولد في البصرة وتوفي في مصر.

(٣) من بلاد همدان على مقربة من صنعاء من الجهة الشمالية.

(٤) **بلدة مشهورة في الشمال الغربي عن صنعاء تبعد عنها مسيرة ثلاث مراحل وهي سوردة شطب.**

(٥) ختبان هو من أعمال يديم وبلدة من معرب عنس.

(٦) سنحَان في الشرق الجنوبي من صنعاء متصلة بها.

بذلك الروض الأنيق فله مع الله حال موافق، وله ولآبائه في الجهاد حق سابق ولاحق.

(انتصار ضلع[1] لذهبان بعد أن ظهر عليه الضلع وبان)

وحين سمع افتخار ضلع وعرف أن ذهبان قد ذل وخضع سلّ على السر الصفيحة وكاد يغرقه بنهر المصيحة بعد أن نهر (لولوة)[2] وقال لها ساكتة يا أخت (الدملوه)[3] يا طويلة الترقوة، ثم قال: بسم الله أقسم ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلّا من ظلم﴾[4] إني قادر على المحاماة عن ذهبان فقد علمت ما فيه من الحياء (والحيا من الإيمان)[5] «فاسمع مني ما أقول لك يا مخلاف خولان أين منك تلك الرقة والطلاوة والترف والحلاوة، وكيف جحدت طيب تلك المغاني وصنع الله في ذلك اللون الأرجواني والصبغ الأرغواني وطيب نكهة غرس (الحبلة) وحضائر العوص ونشوة قات الأصبهاني، وأمّا نزهة الشريف لطف الباري فقد غدت في تلك الرياض واسطة الدَّراري، كما أنه درة تاج الكرم وأولئك السادة الأكارم وواسطة العقد الأنظم في أولاد حمزة بن أبي هاشم[6]، وما ألطف (ترويج المشوق عند تلويح البروق[7] وتلاقي الأحبة عند

---

(١) قرية من ناحية همدان بالقرب من صنعاء

(٢) من قرى همدان صنعاء (٣) من حصون الحجرية.

(٤) سورة النساء ١٤٨.

(٥) حديث شهير أخرجه مسلم والنسائي

(٦) هو الإمام حمزة بن ابي هاشم الحسن بن عبدالرحمن خرج لمقاتلة الصليحي فقتل في بيت جالد من أرحب سنة ٤٥٨هـ «إتحاف المهتدين ص٥٢».

(٧) اسم كتاب في الأدب من تأليف الأديب أحمد بن حسن بن أحمد بن حميد الدين بن المطهر شرف الدين المتوفى سنة ١٠٨٠ (مخطوط).

(القالقة) عقيب الغروب والتنزه بالعشي إلى (النيسا) بنية مجردة واتخاذ (العصا) عند الرجوع إلى المسجد سنة مؤكدة وحسن الاجتماع في المتنزهات والمساجد واجتماع الشُّبان والشِّيب على قلب رجل واحد مع مجون ألذ من الزرجون[1] وألطف من مغازلة العيون وأشهى من معانقة الأبكار والعون مع دين وشهامة وحسب ومروة فائضة في الأشراف والعرب. ولو وصلت أيها السر) إلى (ذهبان) فيما مضى من الزمان ولقيت آل يحيى بن يحيى الكرام الشجعان الفرسان، ورأيت الإمام المفتي[2] يقري ويفتي والآغا حيدر بن بوتج[3] يلقى الوفود بوجه أبلج وثغر أبلج وبلاغة مطبوعة وفاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة، ومروة في خاص وعام والتزام نظام تلقاه من أكابر الأروام مع أدب يرتشف منه العقار ويطير بالعقول كل مطار، لاستحييت أيها السر عن المقال ولافتضح عندك المتنبي وقال:

يقول بشعب بوان حصاني	أعن هذا يشار إلى الطعان
أبوكم آدم سن المعاصي	وعلمكم مفارقة الجنان

ولو أن لأهله اليوم بسطه وسلّم كل منهم قسطه، واستخرجوا منابع ذلك الغيل مع ما ينحدر إليه من السيل أو أن أخاه ثقبان بلّه من إحدى درّتيه ببلال أو عكم إليه النهر الذي سمح به لحجال لاستكثر من

(١) الزرجون: الخمر وقيل هو العنب بلغة اهل الطابق «شفاء العليل» ص١٣٨.

(٢) العلامة المفتي محمد بن عزالدين المفتي من كتبه البدو الساري في التوحيد وهو شهير توفي سنة ١٠٥٠ «البدر الطالع» ج٢ ص٢٠٣.

(٣) هو الشاعر المعروف حيدر آغا من أدباء القرن الحادي عشر بصنعاء.

المغارس اليانعة واشتمل على الملابس الرائعة وأبرز من كواكب العلم والأدب شموساً طالعة، ولم تعذل عنه إلى (السر) ملوك الأكاسرة بعد الملوك التبابعة ولكان المراد بحديث صنعاء المشهور في (تاريخ الرازي)[1] وغيره وأنه الجنة الرابعة. ويقول فتح الله النحاس[2] في ذلك البيت الراسخ الأساس:

وبذات الطلح لي من عالج ... وقفة أذكرها ما اخضر طلح

فاخرج من هذا الباب واطرح هذا الجلباب قبل أن ينطحك ذهبان إما برأس (الجلحا) أو بقرون الذباب.

(طيبة نفس (ثقبان) لما اتضح كمال صاحبه وبان)

وعند ذلك انشرح (ثقبان) وظهر له فضل أخيه وبان، فأمر لضلع بِصُرَّة وعرض على ذهبان تلك الدُّرّة ولكز (السر) في قذاله وضربه بالدرة. وكان ثقبان قد حشد جنوده وأسرج خيله ونشر بنوده وضربت خيامه على باب (السوده) قاصداً بذلك صنعاء طالباً منها ما يليق شرعا ويروق طبعا ويقطع مادة الشجار قطعا.

فإذا بفارس يجف وبيده طرس يخف فسأله (ذهبان): من الإنسان والعين في الفرسان؟

فقال: أنا بقايا (السعدي)[3] وإليك وإلى ذهبان من صنعاء

---

(١) انظر باب (ذكر أن صنعاء إحدى جنان الدنيا) في تاريخ صنعاء للرازي ص١٨٠ تحقيق حسين العمري.

(٢) شاعر رقيق له ديوان شعر توفي سنة ١٠٥٢ (الأعلام ٥/٣٣٣).

(٣) السعدى منطقة كبيرة تحت صنعاء.

بريد بعدي فارجع غير مأمور واعتمد ما يأتيك من الدستور.

قال الشيخ (ثقبان) كان الله له من الأعوان : فلم ألبث أن وصل المشار إليه فإذا هو رجل من ذرية داذويه[1] وقد أعتم بقبة (عيال الخزانة) واعتلى صهوة نقم الأقب[2] وجنب (عيبان) بين يديه كالجواد الأشهب واعتقل صومعة (وهب)[3] والتحق بِحَمْرا علب وبين يديه (قبة عامر)[4] والسمرة وفي يد كل منهما جمدان وكوز الشَّربه ومحبرة فلمّا قارب ذهبان ضرب هنالك زبرطان[5] وجاوبه العَلَمان من رأس علمان وتلقاه من ثقبان قرة العين وبستان الشوتري وغرس العصار وحضائر همدان، فأنشد ذهبان بعد أن غطرفت له تلك الجنان وتلقّاه من فيها من الحور والولدان:

وما جئت حتى آيس الناس أن تجي وسميّت منظوراً وجئت على قدر

ثم فض الكتاب واطلع على ما لم يكن في حساب.

قال الشريف أحمد بن عنبه شرف الله نسبه وسهّل في طرق الرواية سبَبَه: فمما وعاه قلبي وأثبته لبّي: **بسم الله الرحمن الرحيم، من أمة الله**

---

(١) هو يوسف بن يعقوب بن ابراهيم بن سعد داذويه من الأبناء كان قاضي صنعاء لأبي جعفر المنصور وفي تاريخ البخاري «قاضي اليمن لعمر بن عبدالعزيز» توفي بصنعاء سنة ١٥١ وقيل سنة ١٥٣ (تاريخ صنعاء ٥٤٩).

(٢) الاقب من الخيل الضامر الخصر.

(٣) مسجد وهب بن منبه يقع خارج سور صنعاء شرقي مسجد الصعدى وفيه قبر وهب بن منبه، **وقد اندثر الآن. مساجد صنعاء ص١٢٩.**

(٤) ورد ذكرها في مقامة المساجد لابن ابي الرجال.

(٥) الزبرطان أو الزربطان يطلق لكل ما يضرب به والكلمة دخيلة «شفاء الغليل ١٤٢).

مدينة (سام) المحمية في الجاهلية والإسلام، المسعودة بسعـادة مولانـا الإمام المهدي لدين الله العظيم المقـام والمعقود أوليتها على ابن أخيه المليك الحسام والفارس الكرّار والبَحْر الزخار والشَّاب التّقي والخالص النقي والنجيب الهمام. أمّا بعد يا (ذهبان) أنت وأخوك (ثقبـان) إذا كان الصباح فتحدّرا علينا وأقبلا إلينا، ولتكن طريقكما عـلى (الحكيم شعبان)[1].

قال الأمير برقوق بن فرج لينّ الله له المهج ورفع له الدرج: ولما رسمت صنعاء عليهما الوصول اعتراهما شبه الذهول، وخرجا عن دارة المعقول فعرضا على الرسول مائة دينار وأن يرجع الى صنعاء، ويمهد لهما الأعذار فنهره (ثقبـان) وقال له: يا جبـان أين إجلاب خيلك ورجلك بالأمس من هذا القول الذي يعود على شجاعتك بالطمس فكأنما أنشط من عقال ثم تهيَّأ بعد ذلك للارتحال.

ولما بزغت براح[2] قال كل منهما لصاحبه لا براح. ثم قدما على الحكيم صحبة ابن (داذويه) وركب على بغلته وسيرهما بين يديه.

فلما انتهوا إلى (شعوب) نظر (ثقبان) إلى معاطفها والكعوب فثنى عطفيه ثم أنشد صاحبيه:

قفـا قليـلاً بهـا عليَّ فـلا   أقـل مـن نـظرة أزودهـا

ولما بصرت به (شعوب) قالت: أين مواعيدك يا كذوب؟ أما علمت أن

---

(١) الحكيم شعبان: هو شعبان بن سليم بن عثمان من أصل تركي ولد بصنعاء سنة ١٠٦٥ ونشأ في حب الأدب وبرع في علم الطب توفي سنة ١١٤٩ وله ديوان شعر.

(٢) من أسماء الشمس.

قلبي عليك يذوب:

لا واخذ الله من أهوى بجفوته ولا ملا مثل قلبي قلبه شررا

فرفع طرفه إلى السماء ثم أنشدها مترنماً:

أهابك إجلالاً وما بك قدرة علي ولكن ملء عين حبيبها
وما هجرتْك النفس أنك عندها قليل ولكن قل منك نصيبها

ثم إنه التفت إلى يسار فرأى هناك ما لم يره من جميل الآثار وأنكر طرفه تلك الغيضة المونقة، والأشجار المورقة والأغصان المغدقة وإلى ذلك منتزه، يذهب فيه الهم وتقصر عن وصفه الهمم وتغض فيه جونة[1] أعطار العلوم والحكم وكان يعرف ذلك المحل بصفة أخرى لا يقصد إلاّ نَزَرْ ولا يلحظ إلاّ شزر:

وإذا نظرت الى البقاع وجدتها تشقى كما تشقى الرجال وتسعد

فالتفت إلى (شعوب) وبادرها طرف بلاغته اليعبوب[2]:

قفي وانظري يا سم هل تعرفينه أهذا المعيدي الذي كان يذكر
لئن كان إيّاه لقد حال بعدنا عن العهد والإنسان قد يتغير

فقالت له: شفاء العي السؤال، هذه المنتزه للضياء الفاضل المفضال وفيه معهد أنيس ومقام نفيس وله الإرادة بقول بعض السادة:

لله من معهد طاب المقام به على التّنزه في علم وفي أدب
وقد حباه الضيا من نور طلعته بشراً فأرّخ بأنوار الضياء حبي

ثم إن شعوب وثقبان أخذا بأطراف المقال ووعدها في الرجوع من

---

(١) سلة صغيرة مغطاة بالجلد تكون عند العطارين.

(٢) النهر الشديد الجري الكثير الماء

حضرة الحكيم بلذيذ الوصال ثم قال لها إن هذه المدينة، قد حمّلتْنا الأثقال الرزينة وأبهمت المرام ووكلت أمرنا إلى بعض أولاد الأروام[1] وقد علمت يا (شعوب) ما بين الزَّيدية والأتراك من الإحن لا سيّما بعد إجلاء سلاطينهم عن ممالك اليمن:

ولا بد من شكوى إلى ذي مروءة | يواسيك أو يأسوك أو يتوجعا

ثم بكى بعد أن تكلم فأوجز ومسح دمع عينيه بالمنديل المطرّز فقالت له: لا بأس لا بأس لا تخف ولا تنزعج ولا تأس:

لا يعجز الله أمراً أن يدبِّره | رفع الوضيع وهدم الشامخ العالي
ما بين غمضة عين وانتباهتها | يُقلب الدهر من حال إلى حال

ولما انتهى الأخوان إلى (المسبا) قال لهما أهلاً وسهلاً ومرحبا، إعدلا إلى (مسجد قزلباس)[2] وجدّدا ما اندرس فيه من الفراش تقرباً إلى خاطر الحكيم لأن الجميع من بني الطاش[3]، فسارا إلى المسجد لفعل ما خفّ من الطاعة وأتحفاه بمفرشة وقنديل ودرّاعة[4]، وسألاه: إلى ذلك الحكيم شفاعة فقال لهما: قد علمت منزلتكما لديه فابشرا، فإنكما أكرم قادم عليه وستعلمان منتهى أحواله فإن بعض لسان حاله:

ونبئت ليلى أرسلت بشفاعة | إليّ فهلّا نفس ليلى شفيعها
أأكرم من ليلى علي فأبتغي | به المال أم كنت إمراً لا أطيعها

---

(١) الروم هنا هم الأتراك.

(٢) من مساجد صنعاء شرقي مسجد الفليحي ولعله من عمارة قزل باشا نائب الأتراك سنة ٩٧١ مساجد صنعاء ٨٧.

(٣) الأتراك.

(٤) الدراعة: جبة مشقوقة المقدم.

فتوجها في منازل الحبور ودلّهما على بيته رجل من آل (قنطور) ولمّا لاح منهمـا بدران وشخص بحضرته منهما صدران، أحسن نزلهما على أجمل صفة، ثم أتحف كلا منهما بقطعة من (معجون الفلاسفـة)[١] وقال لهما: إذهبا إلى (رياط الفندي)[٢] وسأعرّفكما بعد زوال الدهشة بما عندي فنهضا إلى هناك وكل منهما يقول لصاحبه ما أغناني عن هذا الأمر وأغناك، وحين استقر بالرباط ثارت عليهما الأخلاط ووقعا من مزاج السوداء في هياط ومياط، وحينئذ سار إلى الحكيم الأمير برقوق فلم يجده في البيت فتبعه إلى السوق فقال له الحكيم: عليَّ بهما لأنظر في قضيتهما. فأقبلا إليه بدمع منذرف وحال مختلف غير مؤتلف فقال لهما الحكيم: إنه قد برح الخفا وإن الصفا من دأب أهل الوفا، إن هذه المدينة المهيبة، والبقعة الرحيبة تقول أعزّ الله أنصارها ودام اقتدارها، إنه كان الشقاق والنزاع والجلاد والقراع بين بئر العزب وروضة حاتم وأنها قد حسنت منها الخاتمة والأعمال بالخواتم، فما بالك يا ثقبان والعجرفة ولمّا يتكلّما فيك ببنت شفة وليس بيدك منهما رسالة ولا معك رأي ولا وكالة؛

أشبهت يا هذا منارة طلحة[٣] يدعو مؤذنها لغير المسجد

فافصح عن عذرك أحسن إفصاح قبل أن أفلق هامتك بصومعـة (جناح)[٤] وإذا أقررت بسوء المزاج فعندي لك أتم العلاج.

---

(١) مادة خيالية لا وجود لها ويقال لها ايضا حجر الفلاسفـة. وهي تحيل المعـادن الى ذهب عند الكيميائيين.

(٢) من المساجد الدارسة ذكره صاحب تاريخ مساجد صنعاء.

(٣) من مساجد صنعاء القديمة شمال مسجد معاذ «مساجد صنعاء ص٦٨».

(٤) من المساجد المندثرة ذكره صاحب مقامة المساجد.

(صفة معجون)

خذ قفلتين من (سقمونيا)[1] الخمول وأوقية من (بسفانج)[2] المعقول وبهاراً[3] من (زراوند)[4] ترك الفضول وأضفها إلى ثلاث حبات من (شبيار) الخضوع والإخبات والتفويض إلى الله في السلوك والحركات، ثم أجمع الكل في حق من عاج بعد عقده على عسل الإعراض حتى يصير (زيرباج)، ثم استعمله على قليل قليل وقد تم العلاج وهذا نافع مجرب لكل ألمعي مهذب. وإذا اشتجرت النزه بعد هذا واشتبكت فلا تحفل بها في أي واحد سلكت فإنها كالملوك لا يليق معها إلا السلوك:

إذا صحبت الملوك فالبس　　لهم من الصمت أي ملبس
وادخل إذا ما دخلت أعمى　　واخرج إذا ما خرجت أخرس

ثم التفت الحكيم إلى (ذهبان) وأودعه من القول ما لا يبان.

(شور الحكيم شعبان على الشيخ ذهبان)

قال الشيخ برقوق ضاعف الله له الحقوق ورزقه البر وصانه عن

---

(١) السقمونيا نوع من الأدوية يستعمل من السفرجل أو التفاح «المعتمد ٢٢٨».
(٢) ويقال له بسفايخ نبات ينبت في الصخور التي عليها خضرة (المعتمد ٢٣).
(٣) البهار بضم الباء من الأوزان قيل هو ثلاثة قناطير أو ثلثا رطل وهومعرب وقال ابن جني عربي «شفاء الغليل ٦٦».
(٤) نوع من النبات يستعمل في الأدوية له أغصان طوال وزهر أبيض (المعتمد ٢٠٠).

العقوق: فوضعت أذني عند شفة الحكيم فسمعته يقول لذهبان بصوت رخيم:

يا ذهبان إن (حدَّة) من قد علمت ودعني ممن قد مللته وسئمت وهي اليوم في طراوة شبابها ونهاية الحسن في أترابها، وقد وقع التشاجر بين خطّابها وأرجعت الكل عن بابها واسأل (كبيشات) و(عصر) و(فجج عطان) فإنها التي كانت واسطة في إرجاع المهر على (بيت سبطان) وأصلت قلبه نيران الهجر بعد أن خاطبته بلسان النهر:

راموا اصطياد الريم في سوحه　　فذا دهم من حاجبيه بقوس
فاظهروا القصد الى جده　　وإنما مقصدهم بيت بوس

وقد مهدت لك عرش الانصاف وحلَجت فرشة العالي بقوس النَّدّاف فهل لك في الاجتماع بها على فراشها وقصدها للزواج إلى عشاشها[١]، ولا بد أن تحمد منها كل حالة وتنشد عند ذلك قول العبد المضاف إلى الجلالة[٢]:

ويوم نزلت حدّة أكرمتني　　وخَلّت بين ما أهوى وبيني
وقلت لها قصدتك من أزال[٣]　　وأين أقيم قالت فوق عيني

فقال له ذهبان: يا أبا الفخر ويا حكيم الدهر ويا زينة من ولي صنعاء اليمن من أولي النهي والأمر، ما شاء الله دونك في الذكاء والمعرفة وأنت بالاجتماع جامع بين الطب والفلسفة ولكن كيف أصنع بالنهر

---

(١) العشاش موضع من ناحية صنعاء قرب حدَّه.
(٢) يعني به المؤلف نفسه وهو عبدالله بن علي الوزير.
(٣) من اسماء صنعاء.

وأيضا لها كدر يكون من بعد العصر، أما سمعت يا أبا البر قول مقدم الذكر:

قالوا حدَّه في الصِّباح مسرة ولها نسيم باللطافة ينفرد
والنهر مطرد ليجلو همًّ من فيها فقلت نعم وقد لا يطرد

(جواب الحكيم بالأسلوب المستقيم)

فلما سمع الحكيم شعبان بن سليم قال له: أتيت أهلاً ووطئت سهلاً أما الكَدَرْ المشار إليه فأنت بين يدي حكيم وسأجعل لك جوارش أفراح لا تعيش معها إلا بفكر قويم وطبع مستقيم.

(صفة جوارش أفراح)[1]

إذا كان بعد العصر فاعكف على (دمية القصر)[2] وأحضر أسباب الفرح بالشفع والوتر وادع للخليفة المهدي وابن أخيه الحسام بالظفر والنصر، فإذا وجبت الشمس لجنوبها ودخلت في جيوبها فانهض إلى مسجد (السيالي) واصنع كذلك في سائر الأيام والليالي.

وقد تم لك السرور بإجماع الحكماء والعلماء ولا تحتاج مع حدَّة في تلك المدة إلى محاضرة الندماء.

وأما ما ذكرت من أنك صفر اليدين وأنك لا تقدر على الدين، فانهض إلى الملك السعيد الميمون الحميد حسام الإسلام المحسن بن

---

(١) المعاجين والأشربة الطيبة وجوارش الأفراح اسم ديوان المؤلف.

(٢) دمية القصر كتاب شهير في الأدب لشهاب الدين أحمد الخفاجي المتوفى سنة ١٠٦٩.

الحسين بن الإمام، واشك عليه فاقتك ولا تجهده طاقتك، وسيكفيكما كل مهم، فإنه ملك كريم مفضل منعم فتعرض لمكارمه يا (ذهبـان) أنت (وحدة) وستظفر من أياديه الملوكية بما يجاوز حده.

إذا رمتما إحسانه فواصلا سجعكما في مدحه فواصِلا
واستخبرا عن محسن وسائلا واطرحا في جوده وسائلا
فكم حباً مستجدياً وسائلا

* * *

انتهت
أقراط الذهب في المفاخرة بين الروضة وبئر العزب
والحمد لله
ووافق الفراغ من رقمها صبح يوم الثلاثاء
لعله عشرون من شهر ربيع الآخر عام اثنين وعشرين ومائة وألف،
كتبه الفقير إلى الله
أبو علي السعيد إسماعيل بن حسين الكوكباني
غفر الله له

(معارضة أقراط الذهب)

شكر من وهب
فسمح بأقراط الذهب

تأليف

الأديب أحمد بن محمد بن الحسن بن أحمد الحيمي

المتوفى ١١٥١هـ



ترجمة الحيمي

مؤلف «شكر من وهب»

هو أحمد بن محمد بن الحسن بن أحمد الحيمي اليوسفي، ولد بمدينة شبام كوكبان سنة ١٠٧٣ وأخذ عن والده وغيره وكان خطيباً مصقعاً، تولى الخطابة بجامع شبام ثم انتقل إلى صنعا سنة ١١٤٠، فتولى الخطابة بها وكان من أكابر أدباء اليمن وله قدرة فائقة على كتابة النظم والنثر. توفي سنة ١١٥١.

ومن مؤلفاته الكثيرة:

١ـ طيب السمر في أوقات السحر موسوعة لأدباء اليمن في القرن الثاني عشر.

٢ـ عطر نسيم الصبا. جعله على أسلوب نسيم الصبا للحلبي طبع بتحقيق الشهيد أحمد المطاع بصنعاء سنة ١٣٦١ وأعادت طبعه الدار اليمنية للنشر والتوزيع سنة ١٤٠٦هـ.

٣ـ ديوان الحيمي ذكره ذيل كشف الظنون.

٤ـ العرشي المرقوم على الدر المنظوم شرح رسالة أدبية.

٥ـ حدائق النمام في الكلام على ما يتعلق بالحمّام.

٦ـ الأصداف المشحونة باللآلي المكنونة

٧ـ نكت القلب في الأدب

٨- شرح رسالة الأديب عبدالله بن علي الوزير.

كتاب شكر من وهب

ومن أطرف كتبه وأكثرها فائدة أدبيـة كتابـه هذا، وقد جعله على أسلوب أقراط الذهب واستدرك فيه ما فات صاحبه من ذكر نزه صنعاء وما حولها، وفيه تتجلى موهبته الأدبية وبراعته الفائقة في وصف النزه وما جاء فيها من شعر وخصائص.

وقد رجعنا في تحقيقـه إلى نسخة كتبت سنـة ١١٩٣ وفيها بعض الأخـطاء والكلمات المبهمـة اجتهدنـا في تصحيحهـا حسب الـطاقـة والإمكان.

بسم الله الرحمن الرحيم

أشكر من وهب وأحمده عن رغب في زيادة إحسانه. أما لجلاله فعن رهب. وأصلي على محمد وآله أهل الإجادة الذين روينا عنهم الفضائل بالإجازة والوجادة[1] وأسلم عليه فإنه هدانا بالتعليم وأسلم عليهم ولهم ذاك من السلامة وهذا من التسليم.

قال الضعيف في القيل المجرد سيفه الصدي لا الصقيل، أحمد بن محمد بن الحسن بن أحمد الحيمي كتب سعيداً إن شاء الله تعالى لا شقياً، وتلفع ببرد الأعمال الصالحة لا درنا بل نقياً، لما جاء صاحب (أقراط الذهب) بما ينشق لرقته الصخر وأنابها أن له في الأدب مفاتيح الغيب، ولا شك أن «مفاتيح الغيب»[2] للفخر وسمها بأقراط الذهب فما غش وسماها بهذه التسمية فما رآها القرط الحقيقي إلاّ هش. ولو وسمها بابنة العنب في المفاخرة بين الروضة وبئر العزب لكان ذلك الإسم مطابقاً لما اشتملت عليه من التعرض لذكر

---

(١) الوجادة عند أهل الحديث هو أن يجد حديثاً أو كتاباً بخط شخص باسناده فيرويه على سبيل الحكاية «الباعث الحثيث ص١٢٧».

(٢) كتاب مفاتيح الغيب كتاب كبير في التفسير تأليف العلامة فخرالدين محمد بن عمر الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ وهو مطبوع في مجلدات عديدة.

المخارف بين الروضة وبئر العزب ولوافق شن طبقه[1]، فيما وصف به تلك الحظاير التي مدت عليها من السندس مطارق فوالعصر للخمرة من تلك الكروم، إن إنسانه الرابح بهذه التسمية ليس في خسر وانه بجواهر الحبب منها لفي يسر[2] وليس في شيء من العسر، لكنه لم يختر تلك التسمية الظريفة ولم يحم حول منهل تلك العين الشريفة إلا ليدلنا أن له معدنا من الذهب ما له نفاد، وأن عنده من الفوائد التي لم يفدنا بها أكثر مما أفاد، لقد استجادها الأدباء لما مالت أعطافهم لها يميناً وشمالاً ووضعتها الغيد الحسان على الرأس إجلالاً وعلى الجبين جمالا، فمن سمع تلك الفقر طاش لها وافر لبه ومن رأى ساحات صنعاء رأى منشيها وقد نبه على فضل منازهها، قال هذا وهب وهذا (منبه)، فأما هي فذهب وأما عقل سامعها من الطرب فذهب، ولذا استقر بي الطيش وقمت أقارع بعصا قلمي ذلك الجيش. فما تمالكت أن حررت إليه ما يراه وكافيته بهذا اللفظ الذي ضعفت أسبابه ووهنت عراه وطلبت جواهره بهذه العروض[3] وشكرته على هديته وشكر الأيادي من الفروض. وسميت هذه الرسالة (شكر من وهب فسمح بأقراط الذهب) فليجبني وقد جئت لبنت فكره خاطباً وليقبل مني تفضلاً وتكرماً إذا قلت له مخاطباً:

دمـع عيني جـرى بـدال وميم   فغـرامي كـما عملت غـريمي
مـا شفـاني بمـا أرجيـه من بـرء   اعتـلالي في الحب غـير النسيم

(١) من الأمثال وله قصة طريفة أنظرها في مجمع الأمثال للميداني.
(٢) تورية بسورة العصر.
(٣) العروض من الكلام فحواه والمعراض التورية بالشيء.

وعجيب شفائي منه وما خلت سقيماً يشفى بطب سقيم

لي غزال ما زالت منه معنّى بعذاب من النفار أليم

يا خل باللقا حكى الريم جيداً يا عنا القلب من نحيل كريم

أنا منه صريم[1] وصل فإن نص بجيد يقال ظبي الصريم

ما عليه لو تم ميقات وصل منه يوماً لمستهام كليم

هوذاذو النون[2] بالحواجب مازال ملوماً بالهجر غير مليم

إن نسبناه فهو عن حور رضوان وممن قد حل دار النعيم

قرَّيتها من الجنان وأضحى من فؤادي مخيماً في جحيم

انواه أظل في الربع أبكي صفو عيش من الزمان قديم

بين زهر في جانب الروض منشور ودر من البكاء منظوم

دمع عيني جرى حميمها فما لي قط من صديق حميم

ما احتيالي يا للرجال وقد نغص بالبعد والنفار نعيمي

ضاع حلمي وماحسبت بأن الحسـ ـن يصبي والله قلب الحليم

بين ردف من الثقالة موجود وخصر من الضنى معدوم

همت بالغصن لا لوجد ولكن مذ حكالي لين القوام القويم

مثل وجدي بالروض لما حكالي روض خلق عرفته بالشميم

من زكى النجار[3] نجل علي أوجد الناس في علا وعلوم

قد رمى السعد بالنحاسة لما اختص في العلم عنه بالنعيم

ونحى في فؤاد النحو نحواً سار منه في منهج مستقيم

---

(١) صريم: مقطوع.

(٢) ذو النون: هو صاحب الحوت نبي الله يونس بن متى.

(٣) الأصل والمحتد.

هـو في الخليل [1] درسـاً وبحثاً صـير الجهـل بيننـا كـالهـزيم
كم لــه نـظرة الى النجم ولكن مــا رأينـاه عنـدهــا بـسقيم
قـد زهـا في العـلى بفضل حـواه وسـواه يـزهـو بفضـل الـرميم
نـال في منـطق البـلاغـة حـدا منـه أبيـات غيــره كـالـرسـوم
كم ظفـرنا منـه ومن رق انشـاه بــكــهــف ممـنــع ورقــيــم
طــال مــا أطلـع الـزواهــر في أفق طــروس بـليــل حبــر بهـيـم
خـطه في تضمـين نــظم سـواه هــو خط مـا تم لابن تميمي [2]
فـالقوافي إليه صـدقـاً أشـارت ببيــان البيــان هــذا زعـيمـي
فــاطـل حبــر المقـال فـأنسـا حين انشا فضلاً لعبد الرحيم [3]
هو إنسان عـين ذا الدهـرخلقـاً بــابتــداع في أحسن التقــويم
ذو نجـار بمـربـع أنـزل الضـد الــذي قــد أســا إليـه وجيم
خص في الآل بالتسنم[4] للمجد وقــد فـاز منــه بــالتسنيم [5]
قــد تحيــرت من نــداه ومنــه واصـفــاً بــين بــارد وكــريـم
هــاك مني فخـر الأنــام بيـوتــاً حقهــا أن تشــان بــالتهــديم
قــد أتينــاك من بنات القــوافي فيك يا نجل هاشم [6] بالهشيم
وتـفضــل أن غـنـيـت بـبـنـت في رياض الطروس غصن حميم
فـلنفسي الى نــظامــك شــوق مثـل شـوقي الى خليــل نـديم

---

(١) الخليل بن أحمد من علماءاللغة والنحو مشهور توفي سنة ١٧٥هـ.

(٢) لم أقف على ترجمة ابن التميم هذا.

(٣) هو القاضي الفاضل عبدالرحيم علي بن السعيد اللخمي المتوفى سنة ٥٩٦ اشتهر بفن الكتابة والإنشاء. أنظر الأعلام ج٤ ص١٢١.

(٤) علاه وركبه.

(٥) قيل ماء الجنة ينزل من علو.

(٦) هو هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب أحد أجداد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

أنا في الأهل والديار غريب   بين قوم قلوبهم كالصميم
كم أثيم فيهم يرى المجد في العيش وما المجد يرى الأثيم
وسليم فيهم بشعبان جهل   في المعاني ما ذوقه بسليم
آه لهفي وآه غير مفيد   من نظامي لدر عقد نظيم
جل عني أن يقاس بالدر لكن   ضاع ما بين ناقص وزنيم
وعليك الصلاة مني فلا زلت   مغشى بها وبالتسليم

فلما فرغت من نظم هذا السلك وخرجت من رق رقمه ولم أخرج للمكاتب [1] عن رق الملك، نظرت الى خلو هذا الروض من المنشور وتصفحت جوانبه، فإذا هي خالية من الزهر الممطور فلم أجد لي عذراً عن إشفاع النظم بالنثر ولم أر بدأً عن أن أقفو بالترسل من الشعر هذا الأثر لأجمع بين الزهر والثمر وأقرن الشمس في هذا الفلك الدوّار بالقمر وأؤدي من التحية ما حقه أن يؤدى وأتعدى إلى تأدية السلام ومن أدى الواجب منه فما تعدى، فسلام على حضرة شريفة والقصد صاحبها وتحية مباركة على أرض حسنت رياضها وزهت ملاعبها، سلام إن قلت كالمسك فقد ذممت وتحية إن قلت كالنسمات السحرية فقد أذنبت أو هممت، واللايق بأن أقول سلام على المخاطب وتحية مستمرة سلام يحاكي ما لديه من لطف سجية وتحية تجانس ما عنده من تسنم أخلاق سجسجية والمخاطب هو من لم يكن لعنان جواده عن طرق المحامد ثانياً، وإنما أخرت التفوه بذكره من أول وهلة ليكون مما أبهم أولاً وفسر ثانياً، مولاي المعروف بالإجزال[2] والإفلاق[3] فخر صنعا لا بل فخر

(١) العبد المكاتب: الذي يكتب على نفسه أداء قيمته فإذا أداها أصبح حراً.
(٢) و (٣) الإجزال والإفلاق بمعنى جزيل اللفظ فصيحه وأفلق الشاعر اتى بالأمر العجيب من المعاني.

اليمن على الإطلاق. من جاوز من الفضل مرسومات حدوده، وأتى في صفاته الكريمة بعض أسماء كتب جدوده فأعراقه «كريمة العناصر»[1] في الذب عن سيرته لا عن سيرة الإمام الناصر. وفضله «البرهان القاطع»[2] ومجده «الضياء الساطع» [3] جبل علمه وسيوفه «العواصم والقواصم»[4] وكلماته «الفصول اللؤلؤية»[5]، وتاالله ما ينكر هذا إلا عدو ومخاصم غيث العلم الغزير عبدالله بن علي الوزير أسبغ الله عليه نعمه ولا زال حاسده في غمه.

هذا وإنه بعث بأقراطه الذهبية فحلى بها العصابة الأدبية وأتحف بمفاخرته. وأين من يعرف قدرها وجلاها على منصّة طرسها، وأين من يستجلي بدرها مدَّ أفياها فليست بقالصه. وأهداها فلم تضع عندنا كما ضاع قرط على خالصه. ما هي إلا غادة من غادات صنعاء المحروسة فرت ووصلت الينا في أبهى زينة، واستقرت فسلبت الألباب منا. ولكنها أفرحت وسرت وحلت ريقاً وجيداً لما مرت بنا فأعجب لها كيف حلت ومرت تبرحت من معانيها عن علا وسفرت عن أقراط وذهب أرسلتها على الطلا. ومدت كفها من الخط العجيب عن نقش أرق من دبيب النمل. قد أذن شكله المخطط ببياض طرسه بيننا وبينها باجتماع

---

(١) كتاب من تأليف العلامة الهادي بن ابراهيم الوزير المتوفى سنة ٨٢٢ في سير الأمام الناصر المتوفى ٧٩٣.

(٢) كتاب البرهان القاطع في معرفة الصانع تأليف العلامة محمد بن ابراهيم الوزير المتوفى ٨٤٠هـ.

(٣) لعله من تأليف العلامة الهادي بن ابراهيم الوزير السابق.

(٤) من تأليف محمد بن ابراهيم الوزير السابق الذكر في علم الكلام.

(٥) تأليف العلامة ابراهيم بن محمد الوزير المتوفى سنة ٨١٤ في أصول الفقه.

الشمل. فتلاشت العقول عند ضمها ولم يدر كل منا هل يتأمل في حلى ألفاظها الدرية ام في النقش البديع من رقمها، تنظر منها المقل درراً لها من الخط البديع سلك ويسير إنسان العين من طرسها على ارض كافور نباته المسك. عمري لقد أجاد بأقراط الذهب،يا لها من أقراط جاءت من البحر بأشراط تذاب في حروق من الرقم، مضبوطة إذا أذيبت الأقراط الحقيقية في البوطة يصير ابن الصايغ عندها بليد أو يزيد عقله كأقراط أبيه تلاشياً وتبديد إذا أعلى المعلن عنده بمدحها تنويها موه الذهب في بوتقته وصاغ الأقراط تمويهاً وكم بين أقراط لم تلامسها نار وأقراط أحرقت بها أحراق الدنيا هذه تذاب بين مسك المداد وتلك بين الفحم الذي يشبه أثواب الحداد. هيهات ما الذهب الخالص كالطلا ولا الماء الآسن في نشوته كالطلا، إلا أن ابن الصايغ طالما افتخر وقد جلا أبوه أقراطه فقال: أنا ابن رجل جلا على أن نار الكير بين ضلوعه وذهبه البراق من دموعه،فقد استأصل على قلبه حسده وذاب على النار (وقصدنا التورية) حسده.يقال للأديب:خذ هذه الأقراط ولو بقرط (ماريه)[1] فهي العين المسبوكة التي بهرت العين طالعة وناظرة وجاريه،وما رأتها غادة إلا لمست جانب العصابة والشنف [2] إشفاقا ولا رأت منها قرطاً واحداً إلا وظل قلبها خفاقا، ظناً منها أنها المرصفة من أقراطها قد تبددت فتشكلت عندها تشكل بلقيس [3] في العرش وترددت إذ ما بينها وبينها من فرق

---

(١) امرأة من اليمن يضرب المثل بقرطها وقد أهدته الى الكعبة وبيع بأربعين ألفا وله خبر طويل ذكره صاحب الأغاني ج١١ ص١٥.

(٢) ما علق على الأذن من الحلي.

(٣) هي بلقيس بنت الهدهاد ملكة يمانية شهيرة ذكرها القرآن الكريم وقصة بلقيس مع سليمان والعرش تجدها في كتب التفاسير وفي (التيجان) ص١٣٧ وما بعدها.

إلا أن هذه سبكت بالفطنة الوقادة وتلك بالنار والطرق ،فقد همت بالشك لها عند الظن أنها هي وهيهات أن يقوى لحمل الراجح من نضارها سمطها الواهي ، فمهلاً أيها السائل لتلك الأقراط لقد روعت حسان القصور وأفرطت غاية الإفراط وتسببت منها في هجر الحلى فباعدت ما بين الأقراط الحقيقية وبين الطلا لأنها رغبت عنها ورغبت فيما حبيت به لما كان أنفس منها فعين الذهب عليك حمرا وكانونه يتوقد من الغيظ جمرا ، فيا لتلك الفقرة التي نبهت على تفردك في البلاغة وأنبت ، ويا لتلك الزهرات التي اطلعها روضك المخصب وأنبت :

لو كنت عنصراً منبتاً زهرا — كنت الربيع وكانت الوردا

ويا لتلك الأقراط الخالصة عن الغش لولا ذكر المحب في خلالها ويا لها من مصبوغة زادت على الحلى جمالها ولكنه شأن بذلك الذكر من جمالها لله دره أذوقا بذلك العيب والشين ، تلك الأقراط التي هي خالص العين من العين ولم يقل كما قال الشاعر :

ما كان أحوج والكمال الى — عيب يورقه من العين

ويا لها من مفاخرة توجب الفخر لمنشئها وهو بذاته الفخر ويا لها من نفثات كأنها نحتت للجوهر النفيس من صخر ، لو سمعها الجمال النباتي لقال ها هنا يذوي نباتي ولا يحلو بعدها نباتي لقد سمج في الأفواه من سكر مفاخرتي مكررة ، ولقد ذهب من كلامي زخرفته محررة فما جهد فرايد السلوك عند هذه الأقراط وما رجاحتها عند وزن ذهبها ووزن شعرها وهي لا تساوي منها قيراطاً من قيراط ، وأما (المفاخرة بين السيف

والقلم)[1]. فتقطع وتكسر ولا يربح المعتني بشأنها وقد أقاسها بهذه المفاخرة بل يخسر، فما حال الحديد من السيف عند هذه الأقراط الذهبية وما حال القصبة من القلم عند هذه القطع التبرية الأدبية، لقد وهت من ذاك حمايله وذوت من هذا بعد النضارة خمايله، وكسّر ذاك جفنه خجلا واصفر واسودّ هذا وجهه حياء ووجلاً. ولو سمعها خليلنا إبراهيم الهندي[2] لقال عند نار سك هذه الأقراط سقط (سقط زندي)[3] فلا تسمع مني «براهين الاحتجاج والمناظرة فيما وقع بين القوس والبندق من المفاخرة[4]، وما حال القوس ولم يكن له في هذه المحاسن منزع ولا سهم وما جهده وقد عجز نصله عن النفوذ إلى ما نفذ إليه نصل ذلك الفهم، لقد كرّ سهمه فوقه[5] لما رأى قلم محرر هذه المفاخرة فوقه وما حال البندق وقد ألقى منها على كرسيه ذهباً لا جسدا، وذاب الرصاص في جوفه غيظاً وحسدا وتنفس الصعدا عن نار الباروت وعلق في الأوتاد لما ادعى المساواة بين المفاخرتين تعليق هاروت وماروت[6]، وهو مع ذلك ما ظلم فتيلا ولقد هجر في محبسه فما أذكى الرامي له فتيلا.

---

(١) المفاخرة بين السيف من تأليف أحمد بن محمد الكاتب الأندلسي المتوفى ٤٤٠ وعلي ابن هبة الله بن ماكولا وغيرهما.

(٢) ابراهيم بن صالح الهندي من أدباء صنعاء المعاصرين للمؤلف توفي سنة ١١٠١.

(٣) سقط الزند اسم لكتاب شرح ديوان ابي العلاء المعري وكلاهما له.

(٤) أرجوزة طويلة منها نسخة بحوزتي (ضمن مجموعة أدب المفاخرات).

(٥) الفوق رأس السهم حيث يقع الوتر.

(٦) هاروت وماروت. هما ملكان أنزلا من السماء وامتحنا انظر خبرهما في كتب التفاسير.

فعين الله على عين هذه الأقراط اللطيفة وحراسته لهذا الوشي الذي نسجه فكان أنعم من القطيفة، لقد عطر الروضة وبئر العزب فأنالهما من التنويه بشأنهما غاية الأدب وعمل في التفاخر بينهما فكرا وجعل لهما في الآخرين ذكرا، قرَّرَ بين هذين المنتزهين التفاخر وحسم ما بينهما مادة النزاع والتشاجر.

حتى قال صاحب علم «التفسير» هكذا فليكن الرسوخ والتقرير هذه الآية (المحكم) فيها ما أتابه وإن كان في عنب «متشابه»[1]، ما لهذه الآية من ناسخ [2] ولا لهذا الكلام المبين المفهوم من فاسخ.

وقال صاحب «علم الحديث» لما نظر الى هذه النجوم الطالعة في دليهل المداد الأثيث، هذا هو «الصحيح [3] الحسن [4] المسند [5]

---

(١) المحكم من القرآن وهو ما عرف المراد منه والمتشابه ما استأثره الله بعلمه كقيام الساعة وخروج الدجال إلى غير ذلك «أنظر الاتقان للسيوطي ج٢ ص٢».

(٢) ناسخ القرآن ومنسوخه من أهم علوم القرآن حتى قال انه لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله حتى يعرف هذا الفن وهو نسخ حكم آية بآية أخرى وأجمع المسلمون على جوازه وأنكره بنو اسرائيل ظناً منهم انه بدأ كالذي يرى الرأي ثم يبدو له وهو باطل لأنه بيان مفاده الحكم كالاحياء بعد الإماتة وعكسه والمرض بعد الصحة الخ قول العلامة السيوطي في الاتقان ٥ ج٢ ص٢٠

(٣) الصحيح هو الحديث المسند الذي يتصل اسناده بنقل العدل الضابط الى منتهاه فيكون رجاله هم صفوة الموثوق بهم «أنظر الباعث الحثيث ص٢١».

(٤) الحديث الحسن وسطا بين الصحيح والضعيف ويحتج به وللعلماء في تعريفه أقوال انظر كما في الباعث الحثيث ص٣٧.

(٥) هو ما اتصل اسناده الى رسول الله ﷺ (الباعث الحثيث ص٤٤).

المتصل[1] المرفوع والمعنعن[2] الذي هو غير مختلف[3] ولا مصحف [4] ولا موضوع [5] ليس بكلام مدرج [6] إلا بالنظر الى أن في كل حظيرة قد ذكرها مدرج.

وقال صاحب علم الكلام: على منشيء هذه المفاخرة السلام لقد أتى بالواجب [7] في هذا الغرض وسمح منه الطبع [8] بالجوهر الفرد لا العرض [9] فقد شغل من الأوراق الحيز[10] بما هو برتبته الرفيعة عن الذهب المتميز، فهو الممكن [11] عنده الممتنع[12] المعدوم عند سواه

---

(١) هو ما أضيف الى النبي قولا او فعلاً عنه وسواء ان كان متصلاً أو منقطعا «الباعث ص٤٥».

(٢) هو المسند سبق.

(٣) هو التعارض بين الأحاديث وله أوجه انظر في كتب مصطلح الحديث.

(٤) هو ما يأتي من قبل النساخ من حيث الاعجام وكتابة الأحرف والخطأ فيه.

(٥) الحديث الموضوع هو ما افتعل على الرسول ولم يقله وله علامات عند المحدثين أنظر الباعث ص٧٨.

(٦) هو ان تزاد لفظة في متن الحديث ليست من كلام الرسول «الباعث ٧٣».

(٧) الواجب عند المتكلمين هو الموجود الذي يمتنع عدمه «أنظر التعريفات للجرجاني ص١٦٨».

(٨) الطبع ما يقع عند الانسان بغير إرادة «تعريفات ص٩٤».

(٩) الجوهر الفرد: عند المتكلمين ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت في غير موضع انظر التعريفات ٥٤ وتوسع محمد فريد وجدي في شرح هذه الماهية في دائرة معارفه. والعرض هو عكس الجوهر الفرد يحتاج وجوده الى مكان «التعريفات ٩٩».

(١٠) الحيز عند المتكلمين هو الفرع المتوهم الذي يشغله شيء ممتد كالجسم أو غيره ممتد كالجوهر الفرد الخ «التعريفات ص٦٤».

(١١) الممكن ما يقتضي لذاته أن لا يقتضي شيئاً من الوجود والعدم «تعريفات ١٥٦».

(١٢) الممتع بالذات ما يقتضي لذاته عدمه.

وهو الوضع[1] الذي سهل عليه بالانفعال[2] فاستبد به وحواه.

وقال صاحب أصول الفقه «هذا الخطاب»[3] فيه دلالة[4] على أنه الملايم المؤثر في قلب[5] الحاسد أي «كلاله» لقد أتى بنص ما له «قياس»[6] وبيان ظاهر «الترجيح»[7] غير مقوض الأساس.

وقال صاحب علم «الصرف»[8] بين هذه الأقراط وبين الذهب الحقيقي «صرف»، فهذا الكلام هو «الصحيح» [9] لا المعتل[10] وهو «المثال»[11] الواقع المنسوب[12] الى الصحة لا «المختل» فيه

---

(١) الوضع هو هيئة عارضة للشيء بسبب نسبتين نسبة أجزاء بعضها الى بعض ونسبة الى الأمور الخارجية عنه كالقيام والقعود فإن كلا منها هيئة عارضة للشخص «تعريفات ١٧١».

(٢) الانفعال: الهيئة الحاصلة للمتأثر عن غيره بسبب التأثير «تعريفات ٢٦».

(٣) الخطاب: ما يخاطب المرء في أحكام الشرع من قبله «حاشية التعريفات ص١٣٦».

(٤) دلالة النص: عبارة عما ثبت بمعنى النص لغة لا اجتهاداً «تعريفات ٧١».

(٥) القلب في أصول الفقه عبارة عن عدم الحكم لعدم الدليل حسب عبارة الجرجاني «التعريفات ص١١٩».

(٦) القياس: معروف وهو أحد أبوابه الرئيسية.

(٧) الترجيح اختيار مرتبة في إحدى الدليلين على آخر «تعريفات ٣٨».

(٨) علم الصرف علم يبحث عن صيغ الكلمات العربية التي ليست بإعراب ولا بناء «المنجد ٤٢٢».

(٩) الصحيح: هو اسم لم يكن في آخره حرف علة.

(١٠) المعتل هو ما كان أحد أصوله حرف علة هي الواو والياء والألف «تعريفات ١٥٠».

(١١) المثال ما اعتل فاؤه كيسر ووعد «التعريفات ١٣٥».

(١٢) المنسوب هو الاسم الملحق بآخره ياء مشددة مكسورة ما قبلها علامة للنسبة نحو بصري وهاشمي «التعريفات ١٥٩».

لـلاعطاف [١] إمالـة [٢] لأنـه آلة للطرب وأي آلة، بل فيـه «حروف صغيرة» للطير وفيه حروف قلقلة للغير فهي حروف مستعلية مجهورة في القوم ليس للإعلال والهمس[٣] فيها روم.

وقال صاحب علم المعـاني [٤] هذه هي المـرقصة لا المغـاني فهي البلاغة والفصاحة و«الصناعة» و«الخـطاب» العام الخـالي عن التنافـر و«التعقيد» عند الجماعة ليس بكلام «إنكاري» لأنه لا ينكر، وإنما هو «الجامع العقلي» الذي بينه وبين الغير فصل فهو لديه لا يذكر لقد زان برود البلاغة «بالتـطريز» والتفـويض الجميل وأحسن لهـذه الريـاض «التوسيع» و«التتميم» و«التكميل».

وأقول أنا هذا هو الفضل المدرك بلا عنا لقد فاخر منشيء تلك المفاخرة بما فاخر، وجاء من سحر الكلام بنمط من الأسحار آخر وصف الحضاير بما ليس له (أشباه) ولا (نظائر)، فأطرب حين أطرى وولى كلامه على البديع كله وما ولى منه شطر فجاءت اليه النسمات السحرية رسلا عن سائر المخارف التي لم يذكرها، وهي بذكرها حريـة ومرت لأهـوال المقامات ومقاسات الأهـوال تقتحم وها هي الآن عـلى بابـه الشريـف تزدحم:

فقالت لسان حاله بعد أن قصر على الروضة وبئـر العزب ممـدود

---

(١) العطف تابع يدل على معنى مقصود بالنسبة مع متبوعه يتوسط بينه وبين متبوعه أحد الحروف العشرة مثل قام زيد وعمرو «التعريفات ١٠٠».

(٢) الإمالة: ان تميل بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء «المنجد ٧٨٢».

(٣) حروف الصغير والقلقلة والمستعلية والعلة والهمس تراجع في كتب الصرف وأشهرها كتاب الشافية لابن الحاجب ولا يحضرني الآن فأنقل منه.

(٤) علم المعاني من علوم البلاغة: أشهر من ألَّف فيه القزويني في الإيضاح.

مقاله لقد ازدحمت هذه الرسل ازدحام المعاني في ذهني وقلت في المفاخرة ما حضر وأنت يا روضة حاتم وبئر العزب التي أعني :

آياتها الغر لما رمت أنظمها   تيانعت إذ غدت في الذهن تزدحم
فما تخلص من فرط الزحام الى   سلك النظام سوى ما حرر القلم

وهي الفلك الذي تطلع فيه أقمار التَّم فقد ذكرها بأحسن الذكر وجاء فخارها بما يحار عنده الفكر لأنها الروضة الأريضة الصحيحة، إلا نسمتها فعليلة وإلاعيون نرجسها فمريضة وكل من عليلها ومريضها ما يؤسي، فقد غدا من زوال ما بها وإن أكثر في علاجه ما يؤسي ألا وإنها الروضة التي ما كذب إذ قال فيها حسين موسى [1] :

لقد قال العواذل صرت صبا   بروضة حاتم وسلبت مهجه
فقلت لهم فتنت بها لأني   وجدت بها حدائق ذات بهجه

ولكنها ازدادت بتلك المفاخرة أكلاً وظلاًّ وبدلت أعنابها بالأطايب على الندمان والأخِلاّ وأظهرت لها (شرعة)[2]، ومنها جاء إليها إذا راح طالب الراحة ومنها جاء، ولقد رقص عطف سروها واسدلا . من الأوراق الخضلة اخضر فروها،وكادت أشجار كرمها تقوم بلا أعماد واتصلت أنهارها للمفاخرة وقالت: دعوا السيوف تقر في الأغماد وأدرت على جامعها خمرة المسرة في جامه،وافصح طائر النحاس على نمارته بالتغريد على اعجامه. ورفع من جداره منارة وطالت منارته على كل منارة حتى

(١) هو الأديب حسين بن علي بن موسى الخياط من أدباء صنعاء احترف الخياطة وولع بنظم الشعر توفي سنة ١١٤٠ «نشر انعرف ج١ ص٥٨٧».

(٢) الشرعة هنا الشريعة ويورى بالشرعة عند أهل صنعاء وهي حمائل العنب.

قصرت عنه الصوامع ودلت على أن جامعها المانع ما عداه من الجوامع فهي سامية المحل يساول بسلم درجاتها رجل، لقد جن ذلك الجامع من المسرة ولذا إنه أمسك بالسلاسل وتقدم منه المحراب تحت ظل الأخشاب تقدم المحراب تحت ظل الغواسل، وحل الفلك الأعلى فيه المؤخر والمقدم وتطاول على الجامع الأموي[1] فهذا قد استجدت عمارته وذلك قد تهدم فدع ذكر الجامع الأزهر[2] ولا تذكر عند زَجَل العَجَل من بيرة نغمات المزهر وقد كفاه فخراً قول الأديب صارم الدين إبراهيم الهندي أجزل الله من الأجر ذخرا:

في جامع الروضة حسن غدا	يذهب الناظر والسامع
لا تحسب الجامع في روضة	وإنما الروضة في الجامع

وأما مخارفها فسنية وأما ثمراتها مجنية كم وقور قد خلع لحسنها عذارا واكتظ بأشنابه تحت سجوف المدارج عنها عذارى، (بياضها)[3] أنقى خد يولد الاجتماع ويطرب على الوصف والسماع، فما ظنك بالنظر والمشاهدة والتردد إلى تحت ظله الأسمى والمعاهدة ورمانها يسيل دمه عند عضة مزدحم الحب، ولذا ترى بعضه في بعضه يعنى لفرط الغذا

---

(١) هو جامع دمشق الشهير أسس في زمن عمر بن الخطاب.

(٢) الجامع الأزهر بمصر بناه جوهر الصقلي سنة ٣٦١هـ

(٣) جنس من العنب وقد جمع أصناف العنب الأديب عبدالله بن علي الوزير فقال:

تبدى لـ«أطراف» العيون «بياضها»	لجون «زيتون» القران «العاصم»
وجادت على «القهمى» «أصابع زينب»	بصهبا «خضير» في «قوارير» حاتم
فقلت «لـدوال» ارى «سيسبانه»	كأنه به عشا «لبيض الحمائم»
و«عرقي» كريم في المناصب ينتمي	الى «جرش» فخراً بكل المكارم
وحب العذارى حل جوفي صبابة	«فيا رازقي» جد لي بحسن الخواتم

عـن القوت، ويروي «صحاح»[1] جوهرية الشفاف[2] عن ياقوت[3] أتقن خلقه غاية الإتقان[4] وطلع زهره مصبوغاً بدم قـان فإذا هـو كما قـال حسين مـوسى لقاه الله تعـالى من رحمته نعمـة وجنبه من عـذابه بؤسا[5]:

نزِّه لحاظك في الرياض وحسنها   وأعجب لزهر حدائق الرمان
يـزهو بحمـرة لـونـه فكـأنـه   فيهـا قنـاديـل من المـرجـان

ثم استحال زهرة في الأفنـان إلى أن صار لصـوالج الغصـون أكر من المـرجان لا بـل أحقاق عقيق أحمـر اودعت فيهـا فصـوص اليـاقـوت ونسجت عليها العناكب نسجاً من خز أصفر ابتسم عن ثنايا الياقوت لما تشقق وبدت كل رمانة منه كما قال الأديب علي بن ابراهيم البلنسي [6] وقد تلطف وترقق:

وسـاكنة من طـلال الغصون   تحـدر تـروقـك أفنـانـه
تضـاحـك ألوانـه عنـدمـا   غـدا الجـو تـدمـع أجفـانـه
كـما فتـح الليث فـاه وقـد   تضـرج بـالـدم أسنـانـه

---

(١) كتاب صحاح اللغة للجوهري المتوفى سنة ٣٩٣هـ شهير.

(٢) كتاب الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشـاف كتاب في تفسـير القرآن من تأليف العلامة عبدالله بن الهادي المتوفى ٨١٠هـ.

(٣) هو ياقوت بن عبدالله الحموي المتوفى سنة ٦٢٦هـ واذا قيل ياقوت فإنما يعني كتابه معجم البلدان.

(٤) تورية بكتاب الاتقان في علوم القرآن للسيوطي المتوفى سنة ٩١١.

(٥) اورد هذين البيتين زبارة في نشر العرف ج١ ص٥٩٢.

(٦) هو الأديب علي بن ابراهيم بن محمد بن عيسى البلنسي المتوفى سنة ٥٧١هـ أديب اندلسي من بلنسية له مؤلفات في الأدب «الأعلام ج٥ ص٦٣».

يليق به ما قاله فريد الأدباء في كتابه «نسيم الصبا» [1] ورمان بديع النظام يبسم عن حب مثل الغمام كأنه نهود الحسان او صندل حشي بالمرجان «شعر»:

حقاق كأمثال الكراة تضمنت، شذور عقيق في غشاء حرير

وكم في أهل هذا المحل من كريم ملأ من ماء المكارم حوضه ومن بحر نوال لا يستطيع جواري الأوصاف خوضه، ومن لطف طبع قد استبهجت أخلاقه فهي في الروضة روضة طابت منه أرومه وبلغ المجد الى السماوات العلى، فقال البدر لن أطلع في منزل له ولن أرومه.

هو الشمس حسناً والغمامة نايلاً وكالروض أخلاقاً ومثل الصبا لطفا

وأما بئر العزب: فتأهل عزبها ومال بالتيه والجذَل نبعها وغربها وغارت منه بئر (أبي عنبه) لما وصف المنشيء برد عنبها فأنسى من المليح شغبه، **فقد فاخرت شعب بوان وضاق لتطاولها الجو الواحد من لدن** (باب صنعاء) الى غرب الحوان [2] وعلمت بما ذكر من خصائصها انها حازت الكل من المحاسن ولم تحز شطرا وأنها لما قرأت في مدحها سطور تلك المفاخرة انسيت من منتزهات (دمشق) سطرا، وان سوّحها الرحب يضيق لذكره من مخارف (صعده) [3] (رحبان) [4] فقد كادت

---

(١) كتاب نسيم الصبا في المقامات من تأليف الحسن بن عمر بن حبيب الحلبي المتوفى ٧٧٩ وقد عارضه المؤلف بكتاب عطر نسيم الصبا.

(٢) في المخطوطة بالحا وفي صفة جزيرة العرب الخوان بالخاء المعجمة موضع شمال صنعاء (ص٤٠٩).

(٣) صعده مدينة معروفة باليمن شمال صنعاء.

(٤) رحبان ما بين صعده والخانق «صفة جزيرة العرب ١٦٣».

حظايره تحترق من الغيظ لما تهديه من نفثات تلك المفاخـرة الركبـان. لأن منشئها لحن مع الأعراب بحجتها وخاض من سوانيها المتلاطمـة المياه في لجها، فكادت بيرهـا ان تمشي على عَجَـل وتهدي لـه شيئاً من فاكهتها التي لم تنضج الآن فهي من إهدائها في خجل، ما رأته إلا حيته بالسلام ولا أدلت دلـوها عنـده إلا قالت يابشراي هـذا شيخ العلم والأدب ولم تقل هذا غلام، لقد أمد من ظلها أبْرد في وجاد دلوها بفضه الماء عن طبى جدرانها. فقيل هذا حاتم طي[1] كم فيها من مخترف يمد له من الخِلْب كفاً من الزمرد الأخضر في غاية الترف وكم من مدارج لها في الجو مصاعد ومعارج تدلت عن عناقيد توقـع الفواكه. وقد رامت بلوغ قيدها في عناقيد طالما غـاضت الغياض لمـا تولـد على رملهـا من العنب شكل (البياض) كما قال راقم هذه السطور المنحوتة صخـراتها من جبل الطور [2]:

حول صنعاء حظاير قد بدت لي عن كـروم قد زاد فيهـا جنـوني
من (بيـاض) يهيم فيـه مُعَنًّى مثلما هـام في (سـواد) العيـوني

أكرم بها من متنزه فهي لحسنها بين سائر الآبار عزّه رداؤها بالخلب الأخضر مخلبّ وشراب نهورها بـالدر الأبيض من زبده محبب، ورمانها نهود العذارى وعنبها قد زين أوساط الرياض بأطراف العذارى، وكم لعنبها من نوع غريب وضروب مختلفة ما لها من ضريب فمن (بياض)

---

(١) حاتم الطائي من الكرماء الفرسان يضرب المثل بكرمه تـوفي قبل الهجـرة بنحو ٤٦ سنة الأعلام ٢/١٥١.

(٢) ويقال له (طور سينا) جنوب شبه جزيرة سينا «معجم البلدان ٤/٤٨».

كمكرور الكهرباء[1] ورازقياً يصير عنده الذهب كالهبا غير محتاج في وصف نعمته الى نظريه قد ذكر . يقول منشيء هذه الرسالة في التورية :

نحو الرياض سعيت لما ان أتت   أعنابها في لونها بطرائق
وحمدت خالقي المنصور إذ بدت   عن أسود مثل الظلام ورازقي

ومن أسود ككتائب الزنج أو كعيون قد ملئت بالكحل والغنج كأنه لمحبته دعج [2] أو كأنه المنظوم من نسيج النسيج، ما استغل قاصدها من جداولها السواقي ولا خلا تحت ظلال الخلب [3] من عنبها (بياضا) إذا حلا ناضد كافورها بياضاً ومآق، كم بها من مليح كريم رزقه من (رازقي) في كرومها كريم يسرح في مرتعها ويدور في مربعها. قد فر من كناسه [4] وهو ضيعا لما طال انحباسه بها منعا فهو يرتع في خمائلها ويلعب ويسابق النسيم تحت مدارجها فلا يتعب، وعلى الجملة فهذه نبذة من ذكرها يصعب تفصيلها فليذهب إليها من ذهب وليعتمد قول من حلاها بأقراط الذهب وليحفظ ما قاله صاحب هذه الرسالة وهي (شكر من وهب) شعراً :

أكرم ببئر العزب   ومائها المستعذب
قيل لها ان تسكري   فأنت بنت العنب
أعنابها تروي حديث   لونها عن (ذهبي) [5]

---

(١) الكرمان معروف .
(٢) جنون
(٣) الخلب ورق الكرم .
(٤) بيت الظبى
(٥) تورية بالذهب والإمام الذهبي وهو محمد بن أحمد الذهبي من علماء الحديث توفي سنة ٧٤٨ .

وبــرده في الــطعم قــد — اذكــر بــرد الــشنــب
بيـاضهــا في عــرســه — زهــر مثـل الـشهـب
صـفــرتــه تحت الـنـدا — كــالخمــر تحت الحبب
رمــانها يــبســم عــن — يــاقــوتــه الملتــهــب
والــورق تبكـي إلفهــا — تحت سجــوف العـذب [1]
وكــل بئـر قــد شــدت — في نــزحهـا عن طــرب
لا بــرحــت تميس مــن — أغـصــانها عــن نـصـب

وأمـا الجراف: وهي معـروش الجنان داني القـطاف ذو المحاسن المتلوه والخزائن التي هي من كل خير مملوه فقد ارجف على منشيء تلك المفاخرة بخيله وبكى من اغفاله عن الذكر المستقل بالغـزير من دمـع غيله، وأبدى تأنيباً وتعنيفا وألحف في الملامة ولا بدع فإنه قد عنب [2] كرمه تعنيبا وقال: لست أساوي الروضة وبئر العزب فما وجه تعطيـلي عن التحلية بأقراط الذهب، نعم قد حليت بها ولكن على جهة التبـع والإلحاق. وقد ذكرت في ثغرها ولكني على صفة الضم والإلصاق، فلم يزل يغمض [3] قدره متألما ولم يبرح من عدم ذكره بالاستغلال متظلما حتى ود ملاقاة الميتة وهي (شعوب) [4] لتحظى بملاقاة المنشيء الذي هو بخمر كلماته لكل ذي أدب منسوب ويقول: ما الذنب إليك فخر الإسلام بأني لم أجعل صدر هذه المفاخرة التي فاهت بهـا منك ألسنة

---

(١) العذب: أغصان الشجرة.
(٢) عنب الكرم: صار ذا أعناب.
(٣) يحقر قدره.
(٤) شعوب من أسماء الموت وشعوب ضاحية صنعاءالشمالية عامـرة بالبسـاتين وسمي باب شعوب باسمها.

الأقلام وبرد عيني ألـذ من برد الشنب فـلا تلمني إذا قمت لحربـك. فوقع بيني وبينك (يوم العنب)، فما لروضي النضر من شبيه ولا نظير أما سمعت يا عبدالله قول عبدالله ابن الإمام [1] عليك على جفاك وعليه على وفاه أطيب سلام:

مـا للجـراف أبـداً نـظير	الـروض فيه نـاعم نضير
لـطيبـه تشـرح الصـدور	وربـه لمـن بـه غـفـور
يلقـاك بالتـرحيب والتسهيل	والبشر والتـأنيس والتـأهيـل
بمنـطق مستعـذب المقـول	يـدركـه مسـامع المعقـول
لسـان حـال واضـح البيـان	أبلغ إيضـاحـاً من اللسـان
يجـل أن تـسمـع بـالأذان	وإنمـا يسمـع بـالأعـيـان
تـرى بـه بـدائع البـديع	في سفح مرآي صفحه المريع
في رحلة الخـريف والـربيع	فهـاك بعضاً جـاء بـالجميع

أما طابت اعنابي فكان من حقـك وقد اعتنيت بغيـري أن تكون أعنى بي، أما بياضي أحب من سواد المقل والخمول تحت حمايلي هو العز فدع قول من قال: العز في التنقل حلاوة عنبي كالعسل. ولـذا بدا في شكل اليعسوب [2] ومن ذاته [3] علم انه الى عنب الجنـة بلا شـك منسوب وناهيك أني كنت متنزه (المؤيد) وهـذا قصره بـين حضائـري

(١) هو الأديب عبدالله بن الامام شرف الدين له مؤلفات علمية كثيرة وأرجوزة طويلة في فضـائل صنعـاء بعنوان «الـدراري المشرقـات في بواهـر المخلوقـات» تـوفي سنـة ٩٧٣هـ.

(٢) ملك النحل.

(٣) هو المؤيد محمد بن اسماعيـل بن القاسم بن محمـد ولد سنـة ١٠٤٤ ودعوتـه سنة ١٠٩٢ وتوفي سنة ١٠٩٧هـ وكان من الزهاد العباد «اتحاف المهتدين، ص٨٤».

معمـور مشيد. العـابد الـذي تكسر روق [1] الثوري [2] عنـد ذكـر عبادته والزاهد الذي يكبو ابن ادهم [3] وهو الجواد في ميدان زهادته وهو الإمام محمد بن إسماعيـل الذي عيـل صبري لفـراقه لا لفـراق إسماعيل، وقد علمت ان نفعه ينزل بها فهي الجنة بلا ريب وان متنزها يختاره فهو المنزه عن العيب، ولا شك مع علمه الصالح الذي أعده له ذخرا أني قطعة من الجنة عجلت له في الدنيا قبل جنة الأخرى. فـإنه الإمام الذي انقادت له الأنس والجنة وحياه الله سبحانه في حياته مني بنموذج الجنة فإنه الذي ما قفاه امام في حسن سيرته وأنه وأنه:

أجل بني المنصور [4] قدراً وسؤدداً	زكين الحجى عين الكرام وقورها
أخو الزهد نبراس المفاخر والتقى	كريم له السادات تعنو صدورها
تلفـع أبـراداً لـزهـاده يـافعـاً	بـوطـأة حلم لا يـرام ثبيـرهـا
فتى نـظر الدنيـا بتحقير عـارف	فهـان لـديـه جمهـا وغفيـرهـا
فتى يقتفي في العـدل سيرة والـد	لـه يتـلألأ في البـريـة نـورهـا

فأنصف الإنصاف ولا تغفل تصدير ذكري وذكـر عنبي لتأتي من المحاسن والأعناب على الأوساط و(الأطراف)، واستدرك هذا التفريط عجلا واسمع من منشيء هذه الرسالة لما قال في خطابك مرتجلا:

لا زال فـخـرك ديـن   الله في أقصى المـعـارج

---

(١) الروق: القرن للثور وغيره وهنا تورية لطيفة.

(٢) الامام الثوري هو سفيان بن سعيد من كبار العلماء والزهاد توفي سنة ١٦١هـ.

(٣) الأدهم من اسماء الخيل وابن ادهم هو ابراهيم بن أدهم من الصوفية العباد توفي سنة ١٦١هـ

(٤) أولاد المنصور بالله القاسم بن محمد المتوفى سنة ١٠٢٩.

هـــذا الجـــراف لحسنـــه قد عد في سلك المفـارج
واراك قـــد ادرجـــتـــه بـالذكـر في تلك المدارج
هـو كـاشف للغم منـك وقـــلبـــه لـلهـــم فـــارج

وأما حدَّه: فقد جاوز الغيظ منها حده وزاد نهر حميسها في الحماسة بتبلبله، وكاد أن تنشق الأرض عند تقلقله، فتكسر ووقع على رأسه وهم ان يقلع من ذلك السفح دوحات غراسه، وتحدر عن (حار) من مائه لا عن برود، وخلع من قطائف الأشجار خلعة زرت بأزرار من عنبرود [1] وعزم على أن يجري بجزيرة كفارس للنزال وقال أقسم بالله لا زال أكر حتى ادخل (أزال) [2] فأمثل بين منشيء هذه المفاخـرة وأعاتبـه أحسن معاتبة وأذكره بألطف مذاكرة، وأقول لم أيدك الله تعالى أغفلت ذكر حده ولم تنظر إليها من طرف تكلمك عن حده، وسبب المدح لها ليس بمفقود والفاكهة غير معدومة بها أليس عبدالله بن الإمام قال في مشمشها أنه كالعسل المعقود أحسست حمرته وبياضه[3].

وأنت المنزه عن الجهل ـ من الأشكال النحسة الطالعة على رملها الدَّمِث السهل. وقد قال لك قلبه ثم نجومي السافرة في أفلاك الدوح وسر على سعد الطالع والغارب منها في سماء فلك السوح، فهو مشمش يجنى في البُكَر فيخال من الـذهب الخـالص كـالأكـر. يلعب بهـا من

---

(١) العنبرود بلغة أهل صنعاء هو الكمثري

(٢) من اسماء صنعاء.

(٣) إشارة الى كوكب زحل الذي تحيط به هالة حمراء وهو من الكواكب النحسة عند المنجمين.

الأغصان صوالج الزمرد الأخضر فتجر على بساط النبات الأبهج الأنضر، أبرد عند حر الهاجرة من الثلج والطل وألذ من رشف الرضاب بعد صد يطول ووعد يمطل، ينفع من الحكة والعطش واللهيب ويطفىء الحميات المحترقة ويلين الصليب ويمنع المتعثر ويفتح السدد وكم له من خصائص تحل عن الحصر والعدد[1] فانزل بظل دوحه (الألما) واقعد على جداوله المنحدرة فوق زمرد النبت عن فضة من الما ورد متنزهي مع من ورد والتقط فيه حبات الذهب التي قال فيها الشاب الظريف السيد زيد بن يحيى[2] صاحب دار حرير[3] لما وقع عليه البرد:

في حده البرد المرفض أعدمها برقوقها[4] ادرمي في الأرض بالشهب
بيض نفت صفرة عمري لقد ذهبت حبات در بحبات من الذهب

وفيها كمثركم غُنَى به فقير. وكم أثرى على صفرته الذهبية طلاوة، وأكثر ما يشبه (سكر النعمان) في البرد والحلاوة ولذاته ويذهب العطش والحرارة يقوي المعدة ويهضم ويذهب النزلات والخفقان فيعظم ويفرح أفراح الخمرة فيسر وإذا خلط بالشمار[5] أصلحه

---

(١) أنظر فوائد المشمش الطبية في (كتاب المعتمد في الأدوية المفردة) للملك الرسولي ص٤٩٨.

(٢) هو الأديب زيد بن يحيى بن الحسين ولد بصنعاء سنة ١٠٧٧ وهو من الأدباء الكبار وله ديوان شعر جمعه أخوه يوسف بن الحسين سماه طلوع الضياء توفي وهو شاب سنة ١١٠٤ ولم يتزوج.

(٣) في الأصل بدون نقط ولعلها حزيز بزايين على قارعة الطريق بين صنعاء وذمار من الجنوب.

(٤) البرقوق بلهجة اهل صنعاء المشمش.

(٥) هو الرازنج عند اهل مصر والشام.

اصلاحاً لا يفسد بعده ولا يضر ،فيه يقول منشيء هذه الرسالة رحم الله دله والبسه من غفرانه ورضوانه أبهج حله :

واصفـر (عنبرود) قـد تبدى   واينـع بـين أوراق نـديـة
كأزرار من الـذهب المصفى   يـزر بها الرياض السنـدسية

عصر : فابتدر عند ذلك عصر معتصر للعبارة وأشار الى المقصود مختصراً في الإشارة وقال : يا (حَميس) ما حده في الذكر مني بأولى ولا يفرق بينها وبيني إلا ذو مقلة عميا أو حولا ،فأقم على جهالتك ساعة أو يوماً أو حولا ، كلانا ثمرته المشمش المشتهى والينا في طيبته وحلاوتـه المنتهى . ولكن مهلاً لقد جاوزت جدك غماره [1] وجهلاً ليس منشيء المفاخرة ممن غرب عنه الصـواب ولكن إذا سألت مستـرشداً فـاسمع الجواب. أما علمت أن الكلام في مخارف العنب لا زيادة فالمجاري في هذه الحلبة إنما أتعب جياده فليس ملعب (حدة) من خيل هذه الحلبة وليس هذا البحر مما سبح لـه جلبه [2] وبـين المشمش من العنب يا بغـل ما بـين الرأس والذنب، وكم بين القـديد [3] والخمـر والرمـاد بالنسبة الى الجمر وهل تـساوي نغمة الـوتر بنهيق الحمر، فما كـل طير عقاب ولا كل حصاة لؤلؤة تزان بها الرقاب ولا كل زهرة وردة ولا كل ما تستعذب الأفواه وردة :

وما كل مخضوب البنان بثينة[4]   ولا كل مسلوب الفؤاد جميل[5]

---

(١) جهلا والغمر الجاهل غير المجرب

(٢) الجلبة سفينة صغيرة.

(٣) هو ماء البرقوق اليابس بعد غليه.

(٤) بثينه العذرية شاعرة اشتهرت بأخبارها مع جميل توفيت سنة ٨٢ «الأعلام ٢ / ٩».

(٥) هو جميل بن عبدالله العذري اشتهر بعشقه لبثينة السابقة توفي سنة ٨٢ «الأعلام».

فلا تمد بنانك خلبا ولا تفاخر بورق المشمش خلبا. اين الثمد [١] كما يقال من الخضرم[٢] وأين من السلاف والمعتق ماء الحصرم [٣] كم بين قايم على ساقه بلا فرش وبين من أكرم كرمه فحمل على العرش، وكم بين ما يحكى الزلال الأصفر من بين الدجاج وبين ما يزري بالكهرباء في إشراقه حتى كان يظن كل حبة منه سراج:

النـاس جنس والعليـا بـينهـم فـرق كما بين دود الخز والجعـل
كم من سود أعين بالفتور سبت وبين عين رماها النقص بالشهل

صنعاء: وأما صنعا فقد أحسن بها صنعا لما لم يذكرها في مفاخرة ومباراة ومسابقة في ميدان المجادلة ومجاراة، فإنْ قدرها جليل وحسنها لا يحتاج الى دليل وكيف يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار الى دليل كيف وتعداد، ومحاسنها لا يحيط بهب الحصر والمد في ذكرها يستغرقه البحر بها ربع رحيب من عدل في سكونه فقد خانه ولها سلطان على سائر المدن فلها (طبول خانة) [٤] ، تجمع أطراف المحاسن بدور الأوساط وجآذرها[٥] الكانسة في المقاصير تسرح من مروجها على بساط كل غادة منها عبلة الردف من رآها وهي تسير تحت الأشجار قال هذه عبلة [٦] وهذا العراس طالما الغيت عند جيدها ظبي الصريم فألغيت ذنباً ولم ألغ رأسا فلها عنق وسم الظبا بالنقص فعلى كل

---

(١) االثمد: الحوض الصغير يتجمع فيه قليل من الماء.
(٢) الخضرم البئر الكثيرة الماء والبحر العظيم.
(٣) الحصرم أول العنب الحامض.
(٤) الطول خان نوبه من العسكر يحملون الطبول للوجهاء والأمراء.
(٥) جمع جوذر ولد البقرة الوحشية.
(٦) عبلة: معشوقة عنترة.

طلاسمه. جآذر تسرح فيها قطعاً. وبالدلال تسمى أترابها - تلقاك في أرقة كأنها من الظبا في مرحها أسرابها، قد حسنت هذه المدينة بالجامع الكبير[١] الذي لو اجتمعت الآبار كلها لما كانت كبئر تقاربت منارتاه فدلت له على السعادة وحلق بجناحيه ولم يقصر. وما التقصير له بعادة وتعد حتى بلغ الأفق الأقصى فحمد كل من رأى أبعاده. وغيره من بقية المساجد التي بغية الناسك ونشيده الهاجد. كالطاووس[٢] الذي يزهو بريشه المتنوع ويسلب لونه الأنيق كل مصل به ومتطوع و(كجناح)[٣] والذي يطير مع العنقا وكالمذهب [٤] الذي طوق بالذهب له عنقا، وكمسجد المفتون [٥] الذي أجاب في السؤال عن حسنه المفتون والمسجد الذي رمس فيه الشهيدان [٦] فتم السعادة لهما بالشهادة في روض الفردوس الشهي دان . وكصلاح الدين[٧] الذي

---

(١) الجامع الكبير أو الجامع المقدس من أقدم الجوامع الأثرية في الإسلام وهو من المساجد المباركة أسس في زمن الرسول بإشارة منه لوبرين يحس «أنظر خبر بناء مسجد صنعاء في تاريخ صنعاء للرازي ص٨٢».

(٢) مسجد الطاووسي يقع شمال مسجد طلحة وهو من عمارة طاووس بن كيسان المتوفى سنة ١٠٦ كما يقول الرازي.

(٣) مسجد جناح غربي مسجد المذهب من عمارة الوزير سنان في القرن الحادي عشر انظر خطط صنعاء لزبارة ص٢١ ومساجد صنعاء ٤٢ .

(٤) المذهب من عمارة الأتراك يقع شرقي مسجد جناح السابق أنظر مساجد صنعاء للحري ص٩٩.

(٥) مسجد المفتون: يقع بأعلى صنعاء شمال مسجد صلاح الدين وغربي البكيرية «خطط صنعاء لزبارة ص١١».

(٦) مسجد الشهيدين في الجهة الشمالية من الجامع الكبير وعمر هذا المسجد في موضع استشهاد قثم وعبدالرحمن ابني عبيدالله بن العباس بن عبدالمطلب بعد ان قتلهما بسر بن أرطاة سنة ٤٠هـ انظر غاية الأماني ص٩٧.

(٧) مسجد صلاح الدين من المساجد العامرة بأعلى مدينة صنعاء غربي البكيرية عمره =

عليه من أنوار الله سبحانه سبحات. وكطلحة[1] التي جادت بزخارفها فهي طلحة[2] الطلحات وكداود [3] الذي ألان بالصلاة فيه من القلوب الحديد. وغيره من سائر المساجد التي خطر ببالي منها الحديد. على ان صنعا لو أرادت مفاخرة بئر العـزب والروضـة وقصدت من بحر المباهاة بالبساتين خوضه جاءت بما يطيب نبعا ويظل عنده مخرف العنب ينعى التي سورها قد أحاط بحدائق تغازل عن عيون النرجس وتخجل عن حدود الورد والشقايق.

تنثر أطايب التوت كالفصوص من بهرمان[4] الياقوت، فهي كما قال ابن حبيب الحلبي في مؤلفه الذي غاية طلبي: وتوت حُمر اللون ليس لها صبر على الصون مزمل [5] بدمائه لم يبق فيه غير مائه:

يكاد أن يضي [6] إذا ما لمسته فـارحمه من سـائـر الثمـرات

وتجرد بزيتون وتين يقطع أسباب العلل وتين[7] أكرم به من تين

= الإمام صلاح الدين محمد بن علي المتوفى سنة ٧٩٣ (أنظر غاية الأماني ٧٩٢ وخطط صنعاء لزبارة ص٧ بتحقيقنا ومساجد صنعاء ٦١).

(١) طلحة من المساجد العامرة بصنعاء شمال مسجد معاذ وهو من المساجد القـديمة «خطط صنعاء ٨».

(٢) هو طلحة بن عبدالله بن عوف الـزهري من كـرماء العـرب وكان من عـادته إذا أصاب مالاً فتح بابه للناس فيغشاه كل من أتى. ولي قضاء المدينة ومدحه الفرزدق توفي سنة ٩٩٧ الأعلام ٣ ص٢٣١.

(٣) مسجد داود شرقي مسجد طلحة يقال إن أول من عمّره هـو داود بن المكين ثم جدد «مساجد صنعاء ٥٢».

(٤) البهرمان حمرة الحنا شبه به الياقوت.

(٥) ملتف بثيابه.

(٦) كلمة غير واضحة في المخطوطة.

(٧) عرق في القلب يجري منه الدم الى سائر العروق.

يقال تين بالفاكهة سم سم [١] لأنها تقطر أفواهه بالعسل ويشتمل حشاه على حب سمسم، بكر قبل كل فاكهة بكور غراب [٢] ويملأ من البطن قبل أن يملأ من الجراب، سلطان بين الفواكه جنده بلس [٣] عنده الخير كله مع أن أهل اللغة قالوا البلس من لا خير عنده قد أجمع الأطباء في الملا أنه أحمد الفواكه وأصحها غذاء إذا أكل على الخلا[٤] يحلل ويفتح السدد ويلين غاية التليين هو مسبك، فإذا سلخ جلده فهو كافور تارة يكون من الزنج في سواده وحيناً من الروم في بياضه الموقور قد سلم من العجم[٥] والنوى وكم له من فضائل عليها احتوى وتلك الحدائق في هذه المدينة ـ وهي في اليمن الميمون أم القرى والمصر الذي من رام صيد الظبا الشاردة قيل له (الصيد في جوف الفرى) ـ[٦] كبستان السلطان[٧] الذي لم يذكره الوزير[٨] وغيره من القطع المتجاورة التي تسقى بماء واحد غزير يزهر فاد [٩] وما شئت من بستانها عن الأزهري ويقطعها نهور قالت صنعاء لما قطعت منها الأبهر [١٠] كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الآن قطعت

---

(١) السمسم من أسماء الذئب أو الثعلب.

(٢) من الأمثلة العربية والغراب يضرب به المثل في البكور.

(٣) البلس عند أهل صنعاء هو التين وفي اللغة البلس من لا خير عنده كما فسره المؤلف بعد ذلك.

(٤) أي خلو البطن.

(٥) العجم هو النوى.

(٦) من الأمثلة العربية الشائعة والفرى هو حمار الوحش.

(٧) نسبة الى السلطان طغتكين الأيوبي المتوفى سنة ٥٨٧ وهو أول من عمره ولا يزال قائماً الى الآن «أنظر غاية الأماني ص**٣٣٧**».

(٨) تورية بالوزير المعروف بالوزير مؤلف أقراط الذهب.

(٩) كلمة مبهمة في المخطوطة.

(١٠) الأبهر عرق في الإنسان اذا قطع مات. والأبهر مسجد معروف في صنعاء ولعله =

أبهري وفي الحقيقة أن تلك الجنان من الروضة وبئر العزب والحصائر المرفرفة من أعنابها أقراط الذهب، إنما هي لصنعاء ملعب وبستان يسقيها النهر المطرد والغيث الهتان فلولا هي لكانتا في العدم فمن مدحهما فقد مدحها لأنه قد مدح من مدح من الخدم وهما أبعاض من كل طيب والثلاث الغادات كلهن أبكار فما فيهن ثيب، وفيها من العلماء والأفاضل وأرباب المجد في العطايا أهل الفضائل والفواضل فإنهم رياض تحلق حولهم طلبة العلم لا الندمان ومخارف تؤتي أكلها كل حين، إذا أتى أكل المخارف في بعض الأزمان وعنوانهم في القوم العلامة صاحب دار الزوم [1] ، فهو إنسان عينها وعين إنسانها من طال له في العلوم الرسن المولى الإمام ضياء الدين زيد بن محمد بن الحسن [2] فقد بنى ربع المكرمات وتفرد بالفضل فقيل يا عمرو وما مثل زيد قفا سبيل سلفه في الجود فأنهى عن ذكر نوالهم المعقود نواله الموجود، كم للعاري الى عقر داره من أوبة لأنه أبدى له عن التعري بالأراسة لما شمله بالإحسان فقال في بدلي الاشتمال [3] سلبت زيد أثوابه أطابت الأرومة أصله وخيمة [4] ، فما مراتع أصوله الحميدة بوخيمة ومن المعلوم أنه لم يقطع من أسباب الفخار ولدا لم

= كان اسم حارة في عصر المؤلف أو موضع يشقه نهر صغير.

(١) حارة بصنعاء ذكرها العلامة عبدالله بن علي الوزير في مقامته (شوط القلم)

(٢) هو العلامة زيد بن محمد الحسن ولد سنة ١٠٧٥ وتوفي سنة ١١٢٣ له كتاب المجاز في شرح الإيجاز للعلامة لطف الله الغياث في البلاغة.

(٣) من أنواع البلاغة .

(٤) سجاياه وطبيعته.

يجب[1] النحاة قطعه أي ترخيمه له في المعارف أبين طريقة فهو في العلم صاحب (المجاز[2]وفي التصوف صاحب (الحقيقة)[3]:

وهو دون الأنام في كل ضرب   نهجه العلى فريد وحيد
إن لم يكن ذا الزمان في الدهر جيداً   فهو لا شك عقد نضيد

فهيهات ما لواصف صنعاء من بيان وقد كفى عن الوصف من محاسنها العيان، فلو قطع الواصف منها بحر (خندق) [4] و(سبحه) [5] وأطال في وصفها كلامه للامه سامعه وقبحه، فمن حقنا هنا الاختصار واللايق بنا في استقطار هذه الكروم الاعتصار فلذا لم نسبح في بحرها ولم نعم ولم نحص شيئاً من محاسنها بغير ما ذكرناه ولم نعم[6] فإنا لو أطنبنا في مدحها لم نقم ببعض الواجب من حق (نقم)[7].

ما زاد في مدحها مطري المقال   ولا أبدى العجائب إلا زاد تقصير

وأما وادي ضهر: فخاصم بِدَوي النهر وشمّر من أعماد عنبه عن ساق وقال للمنشىء من لفظ تلك المفاخرة الى ربك يومئذ المساق وزاد

---

(١) كلمتان مبهمتان في المخطوطة.
(٢) كتاب المجاز سبق ذكره في ترجمة مؤلفه.
(٣) الحقيقة عند الصوفية هو أصل التصوف وتقابلها الشريعة فيقال الحقيقة والشريعة.
(٤) تورية بالخندق في صنعاء وهو موضع نزول السيل ويسمى الآن السائلة.
(٥) تورية بباب السبحة من أبواب صنعاء الرئيسية وقد اندثر الآن ويقع بالقرب من السائلة.
(٦) الأول بمعنى نخوض والثاني بمعنى يعم ويشمل.
(٧) نقم جبل صنعاء.

توعداً ووعيداً وفاه بكلمات يهدي الى سامعها تهديدا وشمر لإقامة الحجج وكاد من الحرارة ان ينضج عنبه قبل المحج وسدد أسهم النابل وقال: لست بقابل للمعذرة وإن لقريتي قرية (القابل) أما أنا واسطة العقد النضيد، أما (بيت الديوان) من متنزهاتي بيت القصيد ونادى كما نوديت مدينة نبي الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال يا طيبة[1] يا طابة احكمي بين هذه لمخترفات التي يسيل من أعنابها حلو الطابة فإنك سمية مدينة الرسول وعندك للملهوف كل أرب وسول، وقال إنما ذكرت من الروضة وبئر العزب في الضمن وأويت من ظلها الممدود الى (كن) فقام وقد (ردم) دونه السيل وأنشد واستقام على ساق نخيله المعروف وأنشد:

ما كنت أحسب مع فضلي ووفرته   بأن ذكري يأتي في الورى تبعا

وبعد ذلك اجتمعت جميع مخارفه وعجت ورفعت أصواتها في شجار الأشجار وضجت فصاح (الصبيح) الويل لمثلي والويح، أما يقال لعاثري لعا اما لصوفي مجيب بالإغاثة وقد دعا، وقالت (القرية) أنا المظلومة لا الظالم أهلها[2] وأنا بين عقدتها لدم العنقود وحلها. وقال (سدال) بعد أن لم يبق منه غير سين ودال وقد أسدل رفرف خلبه وسندسه الى تفصيل (النسبة) [3] المعروف عند أهل الهندسة فلما

---

(١) طيبة وطابة من اسماء مدينة الرسول ﷺ وطيبة قلعة في وادي ظهر كانت مركز الباطنية وفيها قتل الإمام الناصر في القرن الثالث عشر.

(٢) يشير الى قوله تعالى ﴿الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم **أهلها**﴾ «سورة النساء ٧٥».

(٣) النسبة عند أهل الهند هي التماثل بين علاقة الأشياء.

للوزير أعز الله سلطانه لم يخص بالمفاخرة إلا أوطانه وقد سمح عن عيني من الأخبار ما أسكر، وإنما إليه من فضايلي ما حقه أن يستقل بالذكر إذ يذكر ملاعبي هي الملاعب التي بها قمري غرد لا غراب ناعب بطّال أما سمع السامع من طيري الأعراب الملحون، ونظر من نهري الغزير شقيق سيحون وجيحون [1] فإنه النهر الذي يطيعه من (حماه) [2] المحروسة (العاصي)[3] ويعلم من عدم مساواة النهور له الداني والقاصي، عيني أنواع مختلفة وفصوص حبة غير مؤتلفة فمن (بياض) سريع الهضم لا يقوى على العض والخصم، ضامي الأديم لينه ظاهر الحسن بينه رقيق القلب لطيف الذات لذة أكله عنوان اللذات، جسمه ذهب مكرور وحشاه ماء القند المعصور كما قال منشيء هذه الرسالة فيه وقد غدا من بين سائر الأعناب يصطفيه:

أعظم لمخترف فيه (البياض) زها ... فإنه بين ابنا جنسه عظما
يأتيك في الصبح مظلولاً فتحسبه ... أزرار تبر عليها التبر قد نظما

ومن (رازقي) تحمد خالقي عند أكله ورازقي يطيب في الأفواه ويأتيك بما تهواه كما قال منشيء هذه الرسالة في (الجناس التام) وإن لم يحسن المقالة:

الرازقي مثل النضار ... يلوح ما بين الدوالي
إن سنى داء الحلو [4] ... فهاته فهو الدوالي

---

(١) نهران شهيران توسع في ذكرهما ياقوت في معجم البلدان.
(٢) حماه: مدينة مشهورة.
(٣) العاصي: نهر من أنهار سوريا مشهور.
(٤) كلمة غير واضحة في المخطوطة.

ومن زيتون كم به من مفتون، تنظر منه فصوص يواقيت مستطيلة وتقتبس منه ناراً على فتيلة كأنـه قطرات دم كادت ان تسقط ولم تقع، وكأنه إكسار صغار من العنب (العاصمي) الذي كم من علة قد نفع: تقول الطيور إن كان ولا بد فعلى مثله تقع كما قال منشىء هذه الكلمة والعقود التي هي بيد الركاكة منتشرة وليست بيد الإجادة منتظمة:

أنــظر لــزيــتــون بــه ... قد صار وجه الروض طلقا
كجمــاعـة النحــل التي ... خلقت من الياقوت خلقا
وتـكــاثفـت مـن فــوق ... (يعسوب) لها فعليـه تلقا

وقال أيضاً في مثله:

كـأنمـا زيتــون كــرم بــدا ... في روضـة تاهت بمنسـوبها
انحل من الياقوت مذ صورت ... تكاثفت من فوق يعسـوبها

ومن (عاصمي) كالإجاص في العظم كأنه أكـر الياقوت البهرماني قد شك مكرهاً في سلك العناقيد فانتظم اعظم العنب حبّاً وأشد شاهية وحباً، يوكل بالوزن والتقدير ويتنزه عن الإسراف والتبذير ثقيل الجرم فهو راجح وقور عـزيز عن الـوجود فهـو يزور كـام العصور يـأتي من الخريف في آخر المدة فهو ملك سوق أمامه من سائر أنواع العنب جنده طعمه أشبه شيء بسكر النعمان إذا توقد حر كانون حيا بماء الثلج زمر الندمان لا يتغير سريعاً بعد قطفه ولا يجـد حسن علوقه بوصفه، فهو فاكهة الشتاء يأتي في غير وقته فيكرم إذا أتى (عاصمي) يعصم كما قال صاحب هذه الرسالة صرف الله تعالى عنه كل فاقرة تقصم:

قــم بي إلى روض لــه عنب يشوق غلاصمي [1]
يروي لنا عن نـافع [2] في الأكل منه و(عاصم) [3]

وبي من سائر الفواكه الحلوة ما إن لم يكن كالعنب فقد غدا تلوه وذلك من (أترج) كالقوالب في ريحه وطعمه غاية المطالب، شيخ حليم إذا خوشن زاد ليناً ولطفا وإذا صفع تضوع لصافعه طيباً وعرفا، فكم قابل أساه بإحسان وسرقة [4] المر صبره وعلم الإنسان. كأنه من الذهب أسر [5] ما لبث مشاهدة في منابته أن سرّ. قد احدودب ظهره لا من الكبر ولبس مع وقاره معصفر [6] الحبر نقطة كجوهر السيف أو كالحب وجسمه من الفضة وجلده من الذهب، قد جمع بين لون المحبوب والمحب وإفراط في البرد حتى قال شاهد الحب الذي في وسطه هذا ثغر شنيب يحمل منه الغصون ما لا يطاق، ويقول من تحته لقد ضاق على النطاق فيه كما قال صاحب نسيم الصبا: راح وريحان وهو للأغصان بمنزلة السجان أباريق من الذهب المصفى وقد سقطت عراها بالعرا، إن ترك على حاله فشموس وبدور وإن قطع فأهله في تلك الأطباق تدور. كما قال بعضهم على مثل ذلك منبهاً فإنه تلطف لما نظم في مليح يقطع بموسه بطيخة مشبهاً:

ولما بدا ما بيننا منية النفس يجزر بالسكين صفراء كالورس

(١) اللحم بين الرأس والعنق.
(٢) هو نافع بن عبدالرحمن الليثي أحد القراء السبعة توفي سنة ١٦٩ .
(٣) هو عاصم بن أبي النجود الكوفي أحد القراء السبعة توفي سنة ١٢٧ .
(٤) كلمة مبهمة في المخطوطة
(٥) كذا في المخطوطة.
(٦) العصفر صبغ أصفر.

توهمت بدر التم قــدَّ أهله على أنجم بالبرق من كوة الشمس

ومن (ليمون) أبدلوا ميمه لاماً فإنما هو ميمون معطر الجيب يقاوم السموم بلا ريب، جمع بذاته الحرارة والبرودة وأقام على تطفية اللهيب والعطش شهوده مفتح الشاهية بلا نزاع ويذهب الغثيان ويزيل الصداع يعدل الخلط ويكسر سورة التخم، فإذا قيل هو يطفيء فساد الغذاء قيل نعم. ماؤه يحد الجواهر وبزره وقشره يفرحان النفوس والخواطر من كل يمونه هي عتيقة (بالجناس التام) في قول منشيء هذه الرسالة الميمونة التي كل لفظة منها حصاة وليست بدرة مكنونة:

ليمونة هي تبرى داء طاعمها في حينه وتزيد الجوف تبريدا
تطيب في الروض ترديداً اذا وفدت مثل الدواء لآلام وتبرى دا

وأما (شبام) [1] حمير: التي ذكرها في الآفاق من المثل أسير فقد أتى الواجب من حقها وأترع المنشور من رقها ووفى لي لما وفى لها من شأنه الوفا وما ذاك إلا لأنها موطني المحبوب وإن عاملني أهلها بالجفا:

بلاد بها نيطت عليّ تمائمي وأول أرض مس جلدي ترابها

أقسم لقد جمعت المحاسن جمعا وابتسم ثغرها بالزهور لما أذابت عليها مثل الغمامة دمعاً، فما تمالك سفحها للرغائب أن ضم ولا راق عقد طلها في أعناق غصونها إلا وهو من العقود اللؤلؤية أنظم ولا علت سائر البقاع بالمحاسن إلا لما حف بها (السواد) [2] الأعظم، عين مائها

---

(١) خصها بهذه النسبة للتفرقة بينها وبين شبام سخيم وشبام الغراس وشبام حراز وشبام حضرموت ويقال لشبام حمير شبام كوكبان.

(٢) السواد موضع بالقرب من ذي مرمر وقعت فيه معركة بين المطهر شرف الدين وخصومه سنة ٩٤٠ «أنظر غاية الأماني ص٦٧٤».

والمزارع حولها صافيه ومناهلها بالماء غير طافيه. ونار القرى بها غير طافية الدوح المظل ستر غوارها وسورها لفرط الزينة قد أضحى سوارها حسانها كنسيمها في اللطافة وأرداف ملاحها ككثبانها وأمواج غدرانها في الكثافة وبدورها بدور في السرار[1]، وإذا أردت (الاستخدام)[2] قلت ولن تخافه لملاحها وقر من الكفل بل (وقوران) ولغادتها من الغداير ظفر ومن المنزهات (ظفران) [3] شموسها تسفر عن سنانها ورياضها تطيب عن جنانها فاكرم بناس أصغوا لقول منشيء هذه الرسالة (في الجناس):

كرم بروضات شبام فكم طاب جناها وزكا تينها
وكم سما من فوقها حصنها كما يراه وزكى تينها

وكم بها من حديقة تفتح من الزهر حدقا وكم بها من روضة تسقيها الغمامة ماء غدقا ما جاصها نظير فهو لا يوجد من غيرها في روض نضير، أكله يسهل في الحلق ويسوغ ولونه وحجمه ككبار بيض الدجاج المصنوع - وهو البيض الذي يصنع في الولايم ويجعل حجاباً للعروس من عين حاسد ولايم - وذلك من أدل دليل على أن أيام فاكهتها أيام أعراس، ومن دليله أيضاً أن سحر المشمش قابل ذلك البيض بالثريا من ثمره فجاء شموعها المشتعلة يحملها على الرأس فإجاصها كما قال الأديب الذي أبرزته (حلب) الشهباء وهو الحسن بن

---

(١) السرار: آخر ليلة من القمر.

(٢) الاستخدام: هو ان يذكر لفظ له معنيان فيراد به أحدهما ثم يراد بالضمير الراجع الى ذلك اللفظ معناه الآخر «التعريف ١٣».

(٣) وقران وظفران من شبام لم اقف على ذكر لهما في كتب التاريخ.

حبيب: وإجاصها أسود العين لا يعتريه شيب ولا شين، كأنه أكر من العنبر أو طليعه من الزنج ينتظر المعسكر:

وإذا ما نثرن ففصوص صبغتها بمائها الظلما

وكم نشأ من مليح كريم وكم بها من جواد كريم زعم حاتم الطائي مشابهته فما صدق فيها زعم، لأنه الباذل الذي ما قال لا إذا سئل فبيته إذاً طريق بابه (بيت نعم)[1]:

ما قال لا قط إلا في تشهده لولا التشهد كانت لاؤه نعم

يصدق الوعد ويخلف الوعيد قد حاز بذلك السعادة في بيته (حجر سعيد)[2] طالما اجتلا محيا المعالي فهو عنه غير (منقب)[3] وطالما أخرج الضيف من منازله مكرماً آمناً، إذا خرج من غيرها خائفاً يترقب أهلها قد جمعوا بين الكيس بكسر الكاف ـ والكَيْس[4] إيفاعها تتلقى الضيف الوافد بالحيس وربما أقعدته من أرضها أو من عنبها على (المحجر)[5] وهذا الوصف لها كاف لأن الكلام في محاسنها إلى بعضه البعض ينجر، فلا يعد تطويل مدحي لها من الهذر لأنه ما قَبَلَ مني التقصير في مدحها من بقاعها (ذباح) و(لا عذر)[6]:

---

(١) ويسمى بيت أنعم له ذكر في كتب التاريخ يقع بالقرب من كوكبان «غاية الأماني ٤٠٤».

(٢) قرية من قرى شبام كان أهلها من الإسماعيلية ذكرها المؤرخ يحيى بن الحسين في غاية الأماني ص٦٢٥.

(٣) المنقب من بلاد جشم «غاية الأماني ٦٣١».

(٤) الفطن اللبيب.

(٥) اسم موضع شبام.

(٦) موضعان.

وكيف يعذر من في كفه القلم عن المقال ومن في كفه ورق
أم كيف يعذر عن وصف لبلدته صب إذا غاب عنها مسه الأرق

وأما **حصن كوكبان** : فقد أعرب حرسه الله تعالى عن محاسنه وأبان ووصفه بما يصير للفلك الأعلى سميراً وفضله على الحصون حتى كاد (العروس) [1] أن يكون مأمور الدولة يكن أميراً وما ذاك إلا لأنه المعقل الذي إليه يشير المشير والى أرجائه يرد بقدوم الغيث (البشير)، من أقام به فهو على (الراحة) مقيم ومن خرج إلى ما حوله خرج إلى (وادي النعيم) تبلا الأيام وعقابه (الجديدة) وتكل عيون النجوم وابصار قبابه [2] الحديدة فمن فتح ذكر طرفه الناظر عن حدته فقد فتح (باب الحديد) ومن سدد سهام فكره النافذة الى أعراض مدحه فهو ذو الرأي (السديد)، فخار أهله يبهر العقول ويستفز وعرهم على العموم فكل بيت من بيوتهم (بيت عز) لا تتحسن منازهه وهي المسعودة ولا يذوي دوحه فما لمست إلا غصنه (الريان) ولم ألمس عوده وكيْف وطالما قالت الغمامة للنظر بلسان البرق وصوت الرعد سق هذه السفوح وانجر لها من الخصب صادق الوعد يبسم البرق من ثنيته ويسلى عن سفح اللوى لومه[3] :

أكنافه بقناديل النجوم زهت ووشحت ببروق العارض الثجم [4]
لا يومض البرق إلا وهو ملتمس من أهله الإذن من بعد ومن أمم

---

(١) حصن العروس من الحصون الشهيرة المنيعة.
(٢) غير منقوطة في المخطوطة.
(٣) كلمة مبهمة في المخطوطة.
(٤) الثجم السماء أسرع مطرها.

فقد غدا سهله لشموخه وعرا وأصبح قوى (العارضة) فلذا أنه سما حتى نال الشعري ما بينه وبين الفضيلة (واسطة) لما لم يعدل ماؤه من النهور معادل وقد أجرى واسطة وكم فيه من بركة ما للأديب عن الثنا عليها مزيد، ولذا إن منشىء هذه الرسالة قال في منهل به يقال له (السدى):

قرى كوكبان العز يفخر في الدنا بما قد حوى حسن العذوبة والبرد
فكم قد روينا اذ روينا بمائه له من حديث في المديح عن السدى [1]

نعم وقد أطال القلم في هذره وما أطاب وجاء بما خلا عن المحاسن فقد صفرت منه الوطاب، فلم يذيل الاستدراك مسكه وإن لم ينفح عنبر كلامه فقد فت في المداد في هذا الختام مسكه، فأشمه أيدك الله تعالى وإن كنت عنه في غنى واقبله على رخص غاليته[2] وإن كان قد طفح لذلك من أمثاله الأنا:

وما الكتب إلا كالضيوف فحقها بأن تتلقى بالقبول وأن تقرى

ثم جئناك ببضاعة مزجاة فأقبل بوجه تجاوزك إلينا وأوف لنا الوزن من شعرك لا الكيل وتصدق علينا وتفضل في رياض طرسك بمنشور يهيج الوجد عند اشتمامه على محبك ويثور فالمكاتبة بغية الأريب والذكر في ليل المداد طيف الأديب لا برحت أجل من وهب ولا زلت ما رقرقت على جبين الدهر منك أقراط الذهب فذاب عندها الذهب

---

(١) السدى هو إسماعيل بن عبدالرحمن من علماء التفسير والحديث توفي سنة ١٢٨.

(٢) الغالية نوع من العطور.

الحقيقي في الجسد وانماع لما رأى تكرارها في الأفواه وترديدها على الأسماع.

وأجرى على سوالف الحسان دمع عينه الحمرا وأساله والصلاة المستمرة والسلام الأبدي على أحمد خاتم الرسالة.

انتهت هذه الرسالة المسماة
(شكر من وهب فسمح بأقراط الذهب)
بتاريخ شهر جمادى الأولى سنة ١١٢٣.
حررت في شهر ربيع الآخر سنة ١١٩٣



المحتوى



أقراط الذهب

رسالة أدبية طريفة، تدخل في فن المقامة، الذي كان المؤلف ـ رحمه الله ـ أشهر من برّز فيه من أدباء اليمن وعلمائها؛ اشتملت على المفاخرة بين الضاحيتين «الروضة» و«بئر العزب».

وهذه المقامة قطعة فنية فريدة بناها المؤلف على شكل منازعة جرت بين الضاحيتين، وتحزُّب بعض القرى إلى إحداهما.. وهي لا تخلو من الحبكة القصصية والأسلوب الأدبي.

ولهذه المقامة معارضة للأديب أحمد بن محمد الحيمي، بعنوان «شكر من وهب» أضفناها إلى كتاب العلامة الوزير التي اعتمد في تحقيقها على أصل قديم كتب في حياة المؤلف.

توزيع

الدار اليمنية للنشر والتوزيع

للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت ـ لبنان